

شكوى المسجد

شارك في كتابته عدد من طلبة جامعة الصدر الدينية في النجف الاشرف عام ١٤٢٢ هجرية باشراف سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي . والحقه بحوارية مستوعبة لأمر لم يتعرض لها الكتاب .

إلى الذي أدميت يده في بناء مسجد
وإلى الذي دمعت عينه على أرض مسجد
وإلى الذي سقط شهيداً دفاعاً عن . . . مسجد
نهدي هذا الجهد المتواضع . . . والقليل
أمام عطائهم الكبير . . .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا . .) (١) فأبى الله سبحانه إلا أن يكون المسجد هو أول بيت وضع للناس، وهذا يُشعر بمكانة وقيومية المسجد في حياة البشر أجمع فضلاً عن مكاتته وقيومته في حياة المسلمين، والذي يعتبر بالنسبة لهم القلب الذي منح ويمنح لهم الحياة الخالدة في ظل طاعة الله سبحانه وتعالى، فكان المسجد في التبليغ الإسلامي بمثابة الرأس من الجسد والوتر من القوس، إذ أن المساجد بانية الإسلام وصانعة أجياله المخلصة والمضحية في سبيل الله على طول سنّيه الألف والأربعمئة.

هذا فضلاً عما يمنحه وجود المسجد ومنظره من إحساس بالانتماء إلى الدين الحنيف إذ أنك ((سواء كنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف أو مستكنة خلف كتيبان الرمل في الصحراء أو راقدة في لحف الجبل، أو كنت في عاصمة كبيرة متنامية الأرجاء متدفقة الحركة عامرة بالعمائر السامقة فإن المساجد . . . تضيف إلى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها. فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها وتتفي الجمود عن غرور مباني العواصم، وتضفي على مقطع الأفق في القرية والمدنية توازناً يروح النفس ولمسه من جمال روعي هادي رقيق)) (٢).

لكن هذه المساجد تعيش هذه الايام محنة التعطيل والتضييع وعدم الريادة وفقر التوظيف وبهذه المحنة التي يعيشها المسجد فحري به أن يرفع ضدنا شكوى إلى الله سبحانه ورسوله ((صلى الله عليه وآله))، وليست هي الشكوى الوحيدة فالقرآن والعرة الطاهرة هما الاخران يشتكيان معه لما لاقوا على ايدينا.

ولأجل هذا انبرى احد ابناء الحوزة وهو الشيخ محمد اليعقوبي ((ادامه الله)) لينبيه منتسبي الحوزة وجميع افراد المجتمع ليعدوا العدة من الآن لنلا يكونوا هم المشككون إلى الله سبحانه وتعالى، حيث قال في مقدمة كتابه (شكوى القرآن) : ((وقد اخترت أن ابدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال عن ابي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين الجهال ومصحف معلق قد وقع

(١) سورة آل عمران : ٩٦

(٢) الدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة (كتاب المساجد) ص ٣٠.

عليه الغبار لا يقرأ فيه))، وأوضح مصاديق العالم هم أهل البيت ((عليهم السلام)) وخصوصاً الامام الفعلي القائم بالامر ((أرواحنا له الفداء)) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعتره والمسجد، ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي ((صلى الله عليه وآله)) قال: ((يجيى يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعتره، يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العتره: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة، فيقول الله عز وجل لي: انا اولى بذلك منك)).

ونسنتفيد من هذا الحديث من أمرين:

الاول: إن اسس بناء الامة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الاركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا الأساس يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور ((أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة))^(٣) والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة اما الثالث فهو المسجد وهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في اجوائه المقدسة بالامة.

الثاني: ((الاشعار بأن الامة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها، لذلك اخبر ((صلى الله عليه وآله)) عن الشكوى كحقيقة واقعة وهو ((صلى الله عليه وآله)) يحذر الامة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كان الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحققها وهو الحكم العدل، ومادامت هذه الثلاثة هي اسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفناءه، لذا كان لزاماً علينا أن نفرّد كل واحد منها ببحث خاص لبيان اثره في حياة الامة وعظيم خسارتها بالاعراض عنه واساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين))^(٤).

وكخطوة اولى انجز سماحة الشيخ اليعقوبي ((ادامه الله)) كتاب (شكوى القرآن) وكان هذا الكتاب الذي بين يديك هو الشكوى الثانية (شكوى المسجد) وعسى الله أن يمن على احدنا مستقبلاً لانجاز التنبية الثالث وهو (شكوى العتره) أو (شكوى الحجة) ((عجل الله فرجه الشريف)).

(٣) راجع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي لمعرفة مصادر الحديث.

(٤) مقدمة كتاب (شكوى القرآن) للشيخ محمد اليعقوبي.

وفي هذا الكتاب نريد أن نسلط الضوء عبر دراسة بسيطة وموسعة نسبياً على أهمية المساجد ووظائفها وآثارها ووظائف العاملين على إيجادها واستمرارها وتفعيل دورها لا براء ذمنا من تلك الشكوى إنشاء الله، وتقع هذه الدراسة في مقدمة وستة فصول وخاتمة، فالفصل الاول منها يبحث في بيان معنى المسجد في اللغة والاصطلاح أما الفصل الثاني فيحمل عنوان (المسجد في حياة المسلمين) ويبحث عن التشريعات الاجتماعية في الإسلام وحاجتها إلى المسجد، كما يبحث عن دور المسجد في صدر الإسلام والعصور المتأخرة، أما الفصل الثالث فيبحث عن أهم الفوائد الدينية والاجتماعية للمسجد، بينما أخذ الفصل الرابع على عاتقه بيان تكاليفنا تجاه المساجد مما قد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة، أما الفصل الخامس فكشف عن علاقة المسجد بالحوزة العلمية والمرجعية الشيعية وختم بكلام عن دور المعمم في المجتمع ومسؤوليات أئمة الجوامع، وإكمالاً للبحث عني الفصل السادس ببيان أهمية الأحكام الفقهية الواردة في الرسالة العملية وتمت فيها أيضاً الإجابة عن عدد من الأسئلة الإبتلانية المهمة المتعلقة بالمساجد، واختتم الكتاب بجمع أربعين حديثاً حول فضل المساجد وآدابها إكمالاً للفائدة ونيلاً لثواب جمع الأربعين حديثاً الواردة عن المعصومين ((عليهم السلام)).

ونأمل أن نكون بهذا الجهد القليل أمام عظمة الله سبحانه وتعالى ونعمه قد أضفنا شيئاً جديداً ولو على سبيل ترتيب الأفكار إلى المكتبة الإسلامية الشيعية، نقدمه بين يدي محمد وآل محمد ((عليهم الصلاة والسلام))، راجين من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به إخواننا المؤمنين العاملين في سبيل نيل رضاه سبحانه، ويكون في مصاف غيره من الأفكار المطروحة في الساحة الإسلامية والتي هي سبب في حفظ رونق الإسلام من التشتت والضياع ببركة محمد وآله الطاهرين .

والحمد لله رب العالمين . .

١٣ صفر الخير ١٤٢٢

الفصل الأول

المسجد لغة واصطلاحاً

المسجد لغة

مسجد : مصدر ميمي على وزن مَفْعَل أو مَفْعَل كـ... مَرِيدٌ وَمَشْهَدٌ، والمسجد اسم مكان وهو محل السجود، وأصله من الفعل الثلاثي سَجَدَ.

وذكر صاحب مصطلحات الفقه : (مسجد : مصدر واسم لزمان السجدة ومكانها، ويعم الأخير مكانها من الأرض ومكانها مع بدن الساجد)^(٥). ومما سبق يمكن أن نلاحظ لفظة المسجد بلحاظين :

الأول : يقال مسجد ويراد به المكان أو المحل الذي يسجد عليه من الأرض كما هو واضح.

الثاني : ويراد بها محال السجود، أي مواضع السجود من بدن المصلي فيقال : هذا مسجد ومساجد.

وجاء في مجمع البحرين : (المسجد فتحاً وكسراً (مَسْجِدٌ وَمَسْجِدٌ) بيت الصلاة)^(٦). وفي لسان العرب : (المَسْجِدُ والمَسْجِدُ الذي يسجد فيه، وفي الصحاح واحد المساجد، وقال الزحاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد)^(٧).

وعن ابن العربي قال : ((مسجد — يفتح الجيم محراب البيوت ومصلى الجماعات، مسجد بكسر الجيم والمساجد جمعها، والمساجد أيضاً الآراب التي يسجد عليها، والآراب السبعة مساجد)^(٨).

المسجد اصطلاحاً

أما في الاصطلاح الشرعي والمتشعري فالمسجد : (هو المكان الخاص للصلاة

(٥) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٨٩٤.

(٦) مجمع البحرين، ج ٣، ص ٦٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٠٤، مادة سجد.

(٨) مجيد الصانغ، المساجد بيوت الله، ص ١١.

والعبادة بصورة عامة والمسجد به عنوان اعتباري اخترعه الشارع المقدس أو أمضاه^(٩).
ويعرفه الشيخ محمد حسن - كما هو معروف - مكان انعقاد الجماعة وهو من أفضل
أماكن المصلي^(١٠).

وما جاء في الراغب : (المسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود. وقيل المساجد
مواضع السجود، الجبهة، والأنف، والكفان والركبتان والرجلان)^(١١).
ومن ذلك يظهر أن أهل اللغة والاصطلاح يتفقون على أن كلمة المسجد بفتح جيمها
وكسرهما يدلان على مكان السجود أو على مواضع السجود السبعة من بدن المصلي الساجد.
ولا نطيل المقام في إشباع البحث بأمر لغوية وصرفية نخرج بها عن الهدف. وفيما
أشرنا له الكفاية في بيان أصل الكلمة لغة واستعمالها اصطلاحاً.

(٩) الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام، ج ١٤، ص ٦٩.

(١٠) نفس المصدر السابق.

(١١) الراغب الأصفهاني، غريب مفردات القرآن، ص ٣٩٤.

الفصل الثاني

المسجد في حياة المسلمين

مقدمة

سعت جميع الديانات السماوية وغيرها من الاعتقادات والأيدولوجيات وعلماء الاجتماع إلى بناء المجتمع الصالح، وكان هذا الهدف لبعض هذه الاتجاهات هو الهدف الأسمى من وجودها، لكنهم جميعاً اختلفوا فيما بينهم بطريقة اختيار أسلوب الوصول إلى ذلك الهدف رغم أن الجميع يرون أن الأسرة هي اللبنة والنواة الأساسية في المجتمع، لكن رواهم اختلفت في كيفية التعامل مع تلك اللبنة والنواة، فأهمل المعسكر الشرقي (بقيادة الشيوعية) الأسرة وحمل المجتمع فوق جميع المؤسسات التنظيمية المجتمعية، فذويت الأسرة للوصول إلى مجتمع متكامل، وكانت النتيجة بأقل من مائة عام انهيار تلك السياسة وانهيار مجتمعها بالكامل، أما (الرأسمالية) فحملت الأفراد فوق رقبة المجتمع والأسرة فحطمتها لأجل تلبية رغبات وشهوات أفراد محدودين محاولة منها للوصول إلى تلبية رغبات جميع الأفراد وبالتالي تلبية رغبة المجتمع وبنائه وأنى لهم ذلك!!!، إذ كانت النتيجة تكالفاً وجريماً وراء رغبات النفس الأمانة بالسوء، وبالتالي شيوع الجريمة حتى أفادت إحصائية أمريكية باحتواء سجون أمريكا كل ستة ملايين مجرم في ست سنوات فقط.

أما الإسلام بتشريعاته الفذة ونظرياته التي حفظت للفرد حقه وللأسرة مكانتها وللمجتمع حقه فهو مؤهل لأن يصل بالمجتمع إلى الذروة وكان من بين هذه التشريعات واللبين الاجتماعية التي شرعت وأسست في الإسلام للوصول إلى بناء المجتمع الصالح هو : المسجد، فهو مكان تنفيذ الكثير من العبادات والطقوس والمناسبات التي لوحظ فيها الجانب الاجتماعي أو التجمعي والجمعي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فللمسجد الريادة في توجيهه وقيادة المسلمين وتوحيدهم وهدايتهم . . الخ، وستأتي الإشارة إلى كل فقرة مما ذكرنا كل في المكان المناسب.

التشريعات الاجتماعية في الإسلام

تتجلى مكانة المسجد في حياة المسلمين للقارئ عند معرفة أسلوب التشريع الإسلامي للعبادات وكذلك عند معرفة أساليب التبليغ والدعوة الإسلاميين، فقد ركز الإسلام — في تشريعاته وأساليب هدايته للناس — على الاجتماع أشد التركيز، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٢)، فهذه هي أهم فريضة في الإسلام، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأسلوب الأنفع فيها والذي فيه الفلاح كما عبر القرآن هو الأسلوب الجماعي ﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ﴾^(١٣)، ويمكن القول في الصدد أن السلوك الجمعي له أثر فعال في خلق ظرف موضوعي لتحقيق ما مطلوب من ذلك التشريع بأقصر الطرق، لذلك فالأمر بالمعروف الجماعي له قوة في التأثير على المقابل أكثر من الأسلوب الفردي، قال الله تعالى في كتابه العزيز: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)^(١٤)، وما ذلك إلا لإحداث تيار عام في المجتمع بتكثير الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أو إقامة الحجة أو غيرها من وجود الحكمة المحتملة. كما نلاحظ للسلوك الجمعي أثر في الصلاة نفسها، فلنأخذ مثلاً صلاة الجماعة لنرى وجداناً ما تخلقه الجماعة في الفرد من إقبال نحو الصلاة وانشداد إليها فيؤديها بصورة أفضل من ناحية الخشوع وحضور القلب مما لو أداها فرادى، ومن آثار السلوك الجمعي في صلاة الجماعة أيضاً ما نلاحظه من التأثير بالغير، فنرى ذلك مراراً وذلك عندما يسجد أحد المصلين بعد الصلاة شكراً فنجد المصلي الآخر يميل إلى السجود متأثراً به وما هذا إلا لانشداد المصلي إلى الجماعة ونوباته فيها لأن الاشتراك الزماني والمكاني بين المسلمين له نفع كبير فيحصل بسببه اشتراك أو تجاوب قلبي أو نفسي في التكامل. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: أن الفرد قد يسمع شخصاً يقول لا إله إلا الله، فيميل نفسياً جداً أن يقول: لا إله إلا الله^(١٥). وتصبح الجماعة كالفرد الواحد خاصة عند توافق حركاتها ووحدة مشاعرها وذلك كما في الأدعية عقب الصلوات، ومن هذا نجد التأكيد الكبير من الرسول ((صلى الله عليه وآله)) والأئمة ((عليهم السلام)) على حضور الجماعة، فعن أبي عبد الله ((عليه السلام)) عن آياته ((عليهم السلام))

(١٢) سورة آل عمران : ١٠٤

(١٣) سورة آل عمران : ١٠٤

(١٤) سورة يس : ١٤

(١٥) السيد محمد الصدر، (فقه الأخلاق)، ج ١، ٢٥٢.

قال: اشترط رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: ((الينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لأمرن مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم أمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي ((عليه السلام)) فليحرقن علي أقوام بيوتهم بحزم الحطب لأنهم لا يأتون إلى الصلاة))^(١٦) وعن أبي جعفر ((عليه السلام)) أنه قال: ((لا صلاة لمن لا يشهد الصلاة من جيران المسجد إلا مريض أو مشغول))^(١٧) وعن زرارة والفضيل قالا: قلنا له أي الإمام الصادق ((عليه السلام)): الصلاة في جماعة فريضة هي؟ فقال: ((الصلاة فريضة وليس الاجتماع بمفروض في الصلوات كلها. ولكنها سنة من تركها رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له))^(١٨)، ومن مجموع هذا نفهم أن مراد الشارع من الاجتماع لا يظهر لكل أحد فلم يذكر سبب الحث عليه دائماً في الأحاديث، فجاء الأمر به مجرداً عن السبب، لأن الشارع أعرف بمصلحة المكلف من نفسه، ونحن إذ عرفنا السلوك الجمعي وبعض آثاره على إيصال العبادة إلى المستوى المطلوب منها ربما يكون أحد الأطروحات لفهم سبب الحث على الاجتماع في التشريعات الإسلامية بهذا الكم الهائل والشديد، أي إن صفة الاجتماع^(١٩) مأخوذة في الإسلام وفي تشريعاته وفي جميع ما يمكن أن يؤدي بهذه الصفة من النواميس والأحكام بحسب ما يليق بكل منها من أنواع الاجتماع أولاً وبحسب ما يمكن فيه من الأمر والحث الموصل إلى الغرض ثانياً، لذا ترى أن الشارع المقدس شرع الاجتماع في الجهاد مثلاً إلى الحد الذي يكفي لنجاح الدفاع، وشرع وجوب الصوم ولازمه اجتماع الناس زماناً، وشرع وجوب الحج ولازمة اجتماع الناس زماناً ومكاناً، فكان (احتشاد الناس المحرمين في المسجد الحرام للطواف أو في الموقفين أو في منى أو غيرها لأداء فرائض الحج وواجباته، يعطي صورة واضحة عن احتشاد الناس في المحشر يوم القيامة، حين يقوم الناس لرب العالمين، للحساب والثواب والعقاب)^(٢٠) وما كان ذلك ليتأتى لولا صفة الاجتماع هذه إذ (إن الفرد إذا تذكر آخرته لم يبقَ بينه وبين الرغبة في الطاعة والارتداد عن المعصية أي عائق)^(٢١). وأي هدف أسمى

(١٦) الحر العاملي، الوسائل، ج ٥، باب (٢) من أبواب صلاة الجماعة، ح ٦.

(١٧) الحر العاملي، الوسائل، ج ٥، باب (٢) من أبواب صلاة الجماعة، ح ٢.

(١٨) الحر العاملي، الوسائل، ج ٥، باب (٢) من أبواب صلاة الجماعة، ح ٢.

(١٩) أخذت بعض الفقرات من كتاب الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي، ج ٤، ص ١٣٠ بالنص أحياناً وبالضمنون أحياناً أخرى.

(٢٠) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج ٢، كتاب الحج، ص ٨١.

(٢١) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج ٢، كتاب الحج، ص ٨١.

من هذا فهو غاية خلق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢٢)، ((فما أعظم الحكم الإسلامي، وما أكبر نداء الإسلام الذي يستطيع أن يجمع هذه الآلاف . . في كل عام، وما أعظم الاخوة التي تشد بعضهم إلى بعض، بالرغم من تباعد البلدان وتشنت اللغات، إنها أخوة الهدف والعمل والعقيدة وهي أقوى الأخوات وأرسخها في منطق الإنسانية والتاريخ))^(٢٣) .

فأريت أن الإسلام اجتماعي في جميع شؤونه وتشريعاته وسيلة أو هدفاً، قال تعالى في كتابه العزيز : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ^(٢٤)، والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعة باعتماد صبر البعض على صبر آخرين فيتقوى الحال ويشد الوصف ويتضاعف تأثيره بفعل الاجتماع، وهذا أثر محسوس في تأثير الفرد إذا اعتبرت شخصيته في حال الانفراد، وفي حال الاجتماع والتعاون بإيصال القوى بعضها ببعض، أما قوله (رابطوا) فهو أعم معنى من المصابرة وهي إيجاد الجماعة، والارتباط بين أقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم أعم من حال الشدة وحال الرخاء^(٢٥) .

أما إقامة الصلاة جماعة في المسجد فهي بما فيها من وجوب المتابعة تعطي معاني عديدة أهمها اشتراك المصلي في الاتجاه نحو الهدف المعنوي الحق، وكذلك تعطي معنى الالتزام بتنفيذ التعاليم والأحكام الصادرة من ذلك الإمام، أو تعطي معنى مشاركة المصلين وتعاونهم لما يستهدفه الإمام^(٢٦) . فنجد أن الإسلام قرر لمجتمعه دستوراً اجتماعياً يقيه من ديباب الاختلاف المؤدي إلى الفساد والانحلال، فقد قال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٢٧) .

ونظرة عامة إلى باقي تشريعات الإسلام التي أكدت على ضرورة الاجتماع نجد أن العامل المشترك لكان أداء تلك التشريعات هو المسجد، فالصلوات اليومية وصلاة الجماعة وصلاة الآيات والعيدين وحتى الطواف وصلاته وأغلب مناسك الحج كالوقوف في عرفة والمزدلفة ورمي الجمرات في منى، وكل هذه المواقف داخلية في الحرم المكي، على ما ذكر في

(٢٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢٣) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج ٢، كتاب الحج، ص ٨١ .

(٢٤) سورة آل عمران : ٢٠٠ .

(٢٥) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٣٠، ط ايران .

(٢٦) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج ١، ص ٢٤٣ .

(٢٧) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(ما وراء الفقه)^(٢٨)، بل حتى الجهاد فهو وإن كان ميدانه وساحته خارج المسجد إلا أن انعقاد راياته وتهينة جيوشه كان مكانها المسجد ((على ما سيأتي إن شاء الله تعالى)) فالمسجد إذن هو المرتكز والأساس لظاهرة الاجتماع في الإسلام، لذا فإن كل غاية وهدف من غايات وأهداف الاجتماع في الإسلام، قد كان للمسجد مشاركة فيها.

مكآة المسجد في حياة المسلمين الأوائل

ولأجل أن تتحقق غايات وأهداف الإسلام والتي أخذ فيها الاجتماع بنظر الاعتبار(كما يبينآ)، فكان لابد أن يكون المسجد - أو قل مكان الاجتماع - هو همٌ مسلمي الصدر الأول وهمُ الرسول ((صلى الله عليه وآله)) في بداية الدعوة الإسلامية بُعيد الهجرة، وذلك عند تحقق الظروف الموضوعية لبنانه، لأنه سيكون الوسيلة النافعة في التبليغ ونشر الدعوة، وكذلك سيكون مقر القيادة المتمثلة بالرسول((صلى الله عليه وآله))، قال ابن هشام في سيرته ما نصه: (قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بقباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده . . . ثم أخرجته الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . . . فأدركت رسول الله((صلى الله عليه وآله)) الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوءاء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . . .)^(٢٩)، وذكر السيد العاملي في سيرة المصطفى: (وقيل مكث أربع عشرة ليلة ولعله الأقرب إلى الاعتبار وركب ناقته وحشد المسلمون حوله عن يمينه وشماله بالسلاح وأدركته الجمعة في بني سالم بن . . . إلى أن قال: وأراده بنو سالم بن عوف على الإقامة عندهم في العدد والعدة والمتعة، فقال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة لناقته وجعل كلما مر بحي من أحياء الأنصار يدعونه للإقامة عندهم في العدد والعدة والمتعة فيجيبهم بمثل ذلك حتى بركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد^(٣٠) لئيمين وهما سهل وسهيل ابنا عمرو في حجر معاذ بن عفرآ فجعل الناس يكلمون رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في النزول عليهم فأحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته فقال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) المرء مع رحله ونزل عليه وسأل عن المربد فأخبره معاذ بخبره وقال سأرضي صاحبيه فاتخذة مسجداً، فأمر أن يبني مسجدا وكان في موضعه قبور للمشركين فأمر النبي((صلى الله عليه وآله)) بها فنبشت عظامها

(٢٨) السيد محمد الصدر، ما وراء الفقه، الجزء الثاني، القسم الثاني، ص ١٢٨ .

(٢٩) السيرة النبوية لأبن هشام، ج ٢، ص ١٠٠ .

(٣٠) المربد: المكان الذي يجفف فيه التمر.

وألقيت وبنى المسجد في موضعها، وعمل فيه رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) والمهاجرون
والأنصار وقال قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

قال ابن هشام في سيرته : وارتجز علي ابن أبي طالب ((عليه السلام)) يومئذ :

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حاندا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله
((صلى الله عليه وآله)) أنه إنما يعرض به . . . فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن
سمية والله إنني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا، فغضب رسول الله ((صلى الله
عليه وآله))، ثم قال : ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمار جلدة ما
بين عيني وأنفي . . .))^(٣١).

ومن الجدير بالذكر أن نعلم أنه على الرغم من ظروف الهجرة التي مر بها
الرسول ((صلى الله عليه وآله)) ومطاردة المشركين له والجهد الذي يبذله والألم والأخطار
الذنان يحفان به وكونه على سفر، إلا إن ذلك كله لم يمنع من تفكيره في بناء وتأسيس مقومات
وجود الحياة الإسلامية الجديدة بعد الهجرة ألا وهو المسجد لتدار دفة القيادة من خلف لبناته
وجنوع النخل فيه، قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بالمدينة إذ قدمها
شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بنى فيها مسجده ومسكنه، واستجمع له
إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها . . .^(٣٢).

انتشار الدعوة الإسلامية

ومن ثم بدأ الرسول الأعظم ((صلى الله عليه وآله)) بالدعوة إلى الله والإسلام خارج
حدود المدينة وكانت دعوته من خلف تلك الأحجار المباركة لمسجد المدينة المنورة،
وكان ((صلى الله عليه وآله)) يقيم الجمعة والجماعة فيه، وكان يجتمع إليه المسلمون في ذلك
المسجد، وبهذا الاجتماع قويت عرى الإسلام وانتشر في كل أرجاء المعمورة، حتى بلغ

(٣١) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفى، الهجرة إلى المدينة ص ٩١.

(٣٢) السيرة النبوية لأبن هشام، ج ٢، ص ١٠٥.

الخافقين، ولعل هذا الاجتماع في ذلك المسجد والمسجد الأخرى التي تلتها زمانا كان علة لظهور وانتشار الإسلام، حيث ورد في علل الشرائع وعيون الأخبار عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا ((عليه السلام))، قال: ((إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله الإظهارا مكشوفاً مشهوداً، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقرب به يظهر الإسلام والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل))^(٣٣) وهذه الجماعة التي أشار إليها الإمام الرضا ((عليه السلام)) لم تتحقق قبل الهجرة إلى المدينة، بل كان أول تحققها بعد الهجرة عندما سنحت أول فرصة لها، ومكان تجمع هذه الجماعة بلا شك هو المسجد، كما أن كلام الإمام الرضا ((عليه السلام)) منطبق على أي تجمع في أي مسجد وفي كل الأزمان، وستأتي الإشارة إلى باقي مضامين الحديث في فقرات قادمة أو فصول لاحقه إن شاء الله تعالى.

المسجد مقر القيادة والتبليغ ومنطلق الجيوش في عصر صدر الإسلام

بعد أن عرفنا أن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) كان يقضي الكثير من وقته في مسجده بالمدينة المنورة. فلا بد أن يكون المسجد عندئذ مكان أغلب القرارات والمشاورات التي كانت تحصل بين الرسول ((صلى الله عليه وآله)) والمسلمين والتي كان لها الأثر في إرساء دعائم الإسلام، فكان المسلمون يهرعون فيما يعترضهم من أمور إلى رسول الله في المسجد سواء للفصل بين خصوماتهم أو حل مشاكلهم أو إبلاغه بما يُشكّل خطراً على الإسلام سواء من المنافقين داخل المدينة أو من الأعداء خارجها من مشركين ويهود، وكان رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يقيم الجماعة في المسجد فكان يستغل هذا الجمع لإبلاغ المسلمين أمراً ما أو يأمرهم بأمر ما.

فمنها: ما ذكره الطبري في تاريخ الأمم والملوك^(٣٤): ((بعث رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) جيش الأمراء فقال عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة... إلى أن قال: فاتطلقوا. فلبثوا ما شاء الله ثم أن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) صعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إلى رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فقال: باب خير باب خير أخبركم عن جيشكم هذا الغازي أنهم انطلقوا فلقوا العدد فقتل زيداً شهيداً واستغفر له ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فشهد له بالشهادة واستغفر له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة...))^(٣٥).

ومنها: ما قاله الطبري أيضاً: ((عن الفضل بن عباس قال جاءني رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه فقال: خذ بيدي يا فضل. فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال: ناد في الناس فاجتمعوا إليه فقال: أما بعد أيها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له

(٣٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثاني، أحداث السنة الثامنة، ص ١٠٩.
(٣٥) المصدر السابق، السنة الثامنة، ص ١٩١.

ظهراً فهذا ظهري...)) (٣٦).

ومنها : أن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) لما أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطنهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش ثم عقد لأسامة اللواء بيده ثم قال : أعز باسم الله، فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوليين، فغضب رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن غضبكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في إمارة أسامة فلقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وأيم والله أن كان للإمارة لخليقاً وأن ابنه من بعده لخليق للإمارة ثم نزل فدخل بيته)) (٣٧).

إذن ففي هذه الموارد الثلاثة المذكورة في التاريخ ما يدل على أن المسجد أداة لتبليغ المسلمين بكل أمر هام، حتى لو استلزم الأمر أن ينادي عليهم للتجمع في المسجد في غير أوقات الصلاة كما في الأخبار المتقدمة. وفي نفس الصدد ما فعله أمير المؤمنين ((عليه السلام)) وقد ورد عن جماعة، منهم أبو الفضيل (٣٨) قال : جمع علي الناس في الرحبة يعني رحبة مسجد الكوفة فقال : انشد الله كل من سمع رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يقول يوم غدیر خم ما سمع لما قام. فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : أتعلمون أنني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا نعم يا رسول الله. قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه)) (٣٩)، وهكذا رأى أمير المؤمنين ((عليه السلام)) أن المكان الأنفع لإيصال أمر الولاية إلى الناس وإفهامه إياهم وتثبيتته والأشهاد عليه هو المسجد، والشواهد كثيرة على ذلك وقد غصت بها الكتب التاريخية ولا تخفى على المتتبع، نذكر منها تيمناً بذكر محمد وآل محمد ((عليهم الصلاة والسلام)) ما نقل عن أبي سعيد الخدري : إشتكى الناس علياً فقام رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) فينا خطيباً (أي في المسجد) فسمعتة يقول : ((أيها الناس لا تشكون علياً فو الله انه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى)) (٤٠). أما ما يخص أمر تجييش الجيوش وتهيئتها وعقد راياتها في المسجد فهو مما

(٣٦) المصدر السابق، السنة الحادية عشرة، ص ١٩١.

(٣٧) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفى ((صلى الله عليه وآله))، ص ٢٦٠.

(٣٨) أورد هذا الحديث النسائي في سننه - نقل ذلك بن كثير في تاريخه - واسنده النسائي عن محمد بن الشيباني عن يحيى بن حماد عن أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن جماعة منهم أبو الفضيل هذا.

(٣٩) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفى ((صلى الله عليه وآله))، ص ٢٥٩.

(٤٠) المصدر السابق، ص ٢٥١.

يحفل به التاريخ أيضاً.

فمنها : أن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) بعث عيناً^(٤١) له لمعرفة أخبار المشركين قبل غزوة أحد، وعندما جاءه بخبره وأنهم ثلاثة آلاف قال له : ((لا تذكر من شأنهم حرفاً حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول)) وياتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد ليلة الجمعة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) حتى أصبحوا خوفاً من تبييت المشركين، وحرس المدينة تلك الليلة، فلما كان الصباح صعد النبي ((صلى الله عليه وآله)) المنبر وقال : رأيت البارحة في منامي أني دخلت يدي في درع حصينة ورأيت بقرأً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً وأنني أردفت كبشاً، وأولتها : أما الدرع الحصينة فالمدينة وأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل، وأما الكبش فكبش الكتبية يقتله الله فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها فإنا أعلم بها منهم))^(٤٢)، وهكذا فقد عبأ الرسول ((صلى الله عليه وآله)) في هذه الخطبة المسلمين معنوياً وأخبرهم بأن احتمال النصر كبير وعلى كلا الاحتمالين الخروج أو الانتظار، وكان كل ذلك في المسجد. ومنها : ما سبق غزوة حمراء الأسد، حيث أنصرف رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) من صلاة الصبح أمر بلائلاً أن ينادي في الناس أن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يأمركم بطلب عدوكم...))^(٤٣).

ومنها : ((ما أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه في الدر المنثور عن جابر بن عبد الله ((رضي الله عنه)) قال : نزلت هذه الآية على رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وهو في المسجد : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٤٤) فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي ردايه على عاتقه فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟

(٤١) وهو الحباب بن المنذر بن الجموح.
(٤٢) السيد محسن العاملي، سيرة المصطفى ((صلى الله عليه وآله))، ص ١٣٧.
(٤٣) المصدر السابق، ص ١٣.
(٤٤) سورة التوبة : ١١١

فقال : نعم، فقال الأنصاري : بيع ربيع لا نقييل ولا نستقييل))^(٤٥).

ومنها : ما ورد من خطب أمير المؤمنين ((عليه السلام)) في الحث على الجهاد أو في أمره لأتباعه بالخروج إلى أعدائهم أو استنهاضه لهم وما كان إطلاق تلك الخطب إلا المسجد، ونذكر منها : ((أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب النذل . . . وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها. ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع جلها و . . .))^(٤٦) ومنها نعرف أن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) يستغل تجمعهم في المسجد ويستنهضهم لقتال الأعداء، وبهذا القدر الكفاية في بيان مكانه المسجد في حياة المسلمين في صدر الإسلام.

(٤٥) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، البحث الروائي حول الآية ١١١ من سورة التوبة.
(٤٦) نهج البلاغة، مقتطفات من خطبة رقم (٢٧) في الكتاب.

المسجد في عصر الدولتين الأموية والعباسية

لسنا بصدد البحث عن المسجد تاريخياً عبر العصور لأن ذلك يحتاج إلى دراسة موسعة، كما أن نفس البحث التاريخي عن كل ما يتعلق بالمساجد ليس من أهداف هذا الكتاب، وإنما يمكن لنا بنظره شمولية على تاريخ المساجد في عصر الدولتين الأموية والعباسية أن نعرف أنها توسعت وتطورت من ناحية العمران والعدد إلا إن دورها الريادي في حياة المسلمين في تلك الفترة لم يكن كما كان في عصر صدر الإسلام وحتى العام الهجري الأربعين – عام استشهاد أمير المؤمنين ((عليه السلام)) – وهذا له عدة أسباب، منها :

١ – انتقال الخلافة الدنيوية بعد استشهاد أمير المؤمنين ((عليه السلام)) إلى معاوية بن أبي سفيان وهو غني عن التعريف باحترافه عن الإسلام، فمن الطبيعي أن لا يساهم في تركيز دور المسجد في حياة المسلمين، وجرى على سيرته تلك من تبعه من حكام بني أمية وبني العباس.

٢ – كانت دفة الحكم تدار من قصور بني أمية وبني العباس المترفة فحصل استغناء منهم عن المسجد.

٣ – أغلب أوقات الحكام والولاة تقضى في السهر والمجون حتى عندما يجلسون لقضاء أمور الدولة، لذا تراهم يجلسون في غير المسجد لعدم جراتهم عليه، بل أن همة أجرئهم دون ذلك بكثير.

٤ – سوء الظن الحاصل عند الناس بالحكام ساهم في انحسار دور المسجد في حياة المسلمين لأن الغالب كون أئمة المساجد والقيمين عليها من قبل الحكام والولاة المنحرفين. ومن هذا نعرف أن مسألة كون المسجد وسيلة ارتباط الإنسان بقيادته قد انتهت في هذين العصرين. أما من ناحية وظائف المسجد الأخرى فإن ذلك كله لم يمنع الناس من تقديس المسجد واحترامه وحضور الصلاة فيه فرادى أو حتى جماعة في ظل ظروف التقية المكثفة التي كان يعيشها قادة المسلمين الحقيقيون وأشياعهم واتباعهم، ولكنهم عرفوا كيف يميزو ما يطرح في المسجد من أخطاء، فمثلاً عرف المسلمون في بداية العصر الأموي أن الصلاة في المسجد مستحبة، لكن سبب أمير المؤمنين ((عليه السلام)) على المنبر في المسجد خطأ وهو

غير مقبول عندهم وعلموا ذلك للأجيال اللاحقة^(٤٧)!. ولم يخل الذي حضر منهم في المسجد أن يصيب إحدى الخصال الثمان التي سيأتي ذكرها في الفصل الثالث، بل ومن ناحية أخرى نرى ارتباط المسلمين بالمسجد قد بلغ أوجه وذلك من الناحية العلمية والدراسية وخاصة في الفترة ما بين نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي وهي فترة ضعف الدولتين، كما أنها فترة إمامة الإمامين الباقر والصادق ((عليهما السلام))، فقد روى المجلسي في بحاره أن الإمام الباقر ((عليه السلام)) كان جالساً في المسجد النبوي فجلس إليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل^(٤٨). وروى المفيد في الإرشاد: أن ابن أبي العوجاء وابن طالوت في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد ((عليه السلام)) فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبيانات^(٤٩)، وكذلك اختص فريق من فقهاء الشيعة بمساجد يدرسون فيها طلبتهم، مثل جعفر بن بشير الوشاء، وهو من زهاد الشيعة وعبادهم وله مسجد بالكوفة ومات رحمه الله سنة ثمانية ومائتين وقد روى عن الثقة ورووا عنه^(٥٠). وكذلك أبان بن تغلب الحريري الذي قال له الإمام الباقر ((عليه السلام)): ((أجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك))^(٥١)، وكذلك معاذ بن مسلم الفراء النحوي الذي قال له الإمام الصادق ((عليه السلام)): ((بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس، قال: قلت: نعم كنت أقعد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا علمته بالخلاف لكم أخبرته بما يقولون، ويجيء الرجل أعرفه بحبكم ومودتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه فأقول جاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك فقال لي — اصنع كذا —))^(٥٢) وقد اشتهر في تلك الفترة نظام الحلق في التدريس أي الحلقات في المصطلح المعاصر، على أنها كانت معروفة من أيام الرسول ((صلى الله عليه وآله وسلم)) الذي قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، فقالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر، فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم))^(٥٣)، وقد استمر

(٤٧) رغم أن أسلوب الأمويين في سب أمير المؤمنين على المنابر قد نجح في الشام مثلا — دون الكوفة وغيرها

(٤٨) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ١٠٢.

(٤٩) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٣٦٣.

(٥٠) النجاشي، الرجال، ص ٩٢.

(٥١) نفس المصدر، ص ٨.

(٥٢) الكشي، رجال الكشي، ص ١٦٤.

(٥٣) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ١، ص ٢٣، ط طهران.

نظام الحلقات هذا في الجوامع حتى عصر الإسماعيلية الذين كانوا يتبعونه في مساجدهم، فقد روى المقرئزي ((أن أول مسجد أسس بالقاهرة كان في سنة ٣٥٩ هـ في عهد المعز لدين الله، وفي سنة ٣٧٨ هـ سأل العزيز بالله ابن كلس في صلة رزق الفقهاء، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم، وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتحلقوا^(٥٤) فيه بعد الصلاة إلى أن تصلي العصر))^(٥٥)، وما زال نظام الحلقات في التدريس معمولاً به إلى زماننا هذا في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. وسيأتي في فصل قادم إن شاء الله، الحديث عن علاقة الحوزة العلمية بالمساجد من ناحية الدراسة ومن نواحٍ أخرى.

وقد كان للإمامين الباقر والصادق ((عليهما السلام)) اليد الطولى في بث العلوم بمختلف أنواعها فأخذ يتناقل كلماتهم الركبان فلا تكاد تخلو من ذكرهم حلقة دراسية في أي جامع من جوامع الدولة الإسلامية فضلاً عن مكة والمدينة والكوفة، ومما يؤكد ذلك قول الوشاء : دخلت مسجد الكوفة فوجدت تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ((عليه السلام))، وهذا يعني أن كل هؤلاء التسعمائة قد استقوا علومهم من الإمام الصادق ((عليه السلام))، فمن هذا نعرف إلى أي مدى كان المسجد يمثل مصدر النور في حياة المسلمين سيما لو عرفنا أن هؤلاء التسعمائة هم جملة الفكر الإسلامي الحضاري في مختلف حقول العلم والمعرفة بما فيها العلوم الطبيعية كالطب والفلك والكيمياء، والذي أصبح فيما بعد أساس الحضارة الغربية بعد مرور المسلمين بفترة السبات بعد غزو المغول لبعثاد وسقوط الدولة العباسية بيد التتار عام ٦٥٦ هـ ، لكن الحوزة العلمية في النجف الأشرف في ذلك الحين كانت قد تأسست ترفل بالعلماء الأعلام، وذلك في القرن الرابع الهجري وما تلاه، فمن الكليني والكشي ثم الطوسي والنجاشي إلى الطبرسي صاحب معجم البيان وبعدهم جاء المحقق الحلي والعلامة، لكنهم كلهم لم يكونوا بالصفة التي يقودون الحياة الإسلامية من خلالها نظراً لظروف النقيّة المكتفة وانشغالهم بتأسيس معالم المذهب التي كادت أن تندثر بعد وقوع الغيبة الكبرى في القرن الثالث الهجري، ونعم ما فعلوا والله الحمد، إذ لولا جهودهم لاختلط الحابل بالنابل وما هذا إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى طبعاً. المهم في المسألة أن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة كانت مترجمة عما

(٥٤) تحلقوا : شكلوا حلقات حول أساتذتهم عند جلوسهم.
(٥٥) الخطط، ج ٤، ص ٤٩.

يراد منها أن تكون عليه، ومن الطبيعي أن يكون المسجد في حينها قد أسدل دونه الستار وغاب عن مسرح الحياة نوعاً ما لعدم وجود القيادة التي توظفه لأداء دوره المطلوب منه واستمر الوضع هكذا إلى أن نشطت الحوزة من الناحية الاجتماعية شيئاً فشيئاً ووضعت نظريات الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضع التطبيق، فكان المسجد عندها جاهزاً ليكون وسيلة تنفيذ تلك النظريات وهكذا كان، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في الفصل الخامس من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

الفوائد الدينية والاجتماعية^(٥٦)

للحضور في المساجد

(٥٦) تم تسجيل هذه الفوائد في الكتاب بالاستعانة بما ورد في أحاديث أهل البيت ((عليهم السلام)) أحياناً وبمعرفة استطلاع للرأي عام قام به بعض الأخوة المؤمنين.

مقدمة

قال الصدوق في باب الثمانية من كتابه (الخصال) : حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد بن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن سعد الاسكاف عن زياد بن عيسى عن أبي الجارود عن الأصبع بن نباته عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قال : كان يقول : ((من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان أخطأ مستفاداً في الله أو علماً مستظرفاً أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة تردده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشية أو حياء)) ، ونقل الصدوق أيضاً حديثاً آخر بلفظ مقارب عن الحسن بن علي ((عليه السلام)) عن الرسول الاكرم ((صلى الله عليه وآله))، ومنهما نفهم بصورة عامة الفوائد المترتبة على الحضور في المساجد وهي كما ترى في الحديث فردية في قسم منها وجماعية في القسم الآخر، ويمكن الدخول تفصيلاً في كلا القسمين كل على حدة :

الفوائد الفردية

يفهم من الحديث المتقدم أن المكثّر في حضوره إلى المسجد لا بد أن يصيب إحدى الخصال الثمان المذكورة على أقل تقدير وقد يصيب اثنين أو أكثر أو جميعها، وطبعاً فإن هذه الخصال تنعكس أولاً وبالذات على نفس الفرد المؤمن ثم هي بالتالي تكون ثابتة الفائدة للمجتمع لأن المجتمع متقوم بأفراده، لكن هناك خصال - سواء استفيدت من الحديث أو من غيره كما سيأتي- يلحظ فيها الفائدة الجماعية أكثر من الفائدة الفردية فنوّل ذكرها إلى الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى.

وعد على بدء نقول أن الفوائد الفردية يمكن حصرها بعدة جوانب :

أولاً: الجانب الاخلاقي والروحي :

الحضور إلى المساجد باعتباره إطاعة للأمر الإلهي الذي يحث على الحضور في المساجد - كما سيأتي في فصول قادمة جملة من الآثار الدالة على ذلك - فهو قد وفر فرصة للعبد المؤمن في التقرب إلى الله سبحانه والتدرج في مدارج الكمال والرقى الروحيين، لذلك فالحضور في المساجد فرصة من فرص تهذيب النفس بغض النظر عن الفوائد الاخرى المتحصلة والتي سيأتي ذكرها، قال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((الجلسة في الجامع خير

لي من الجلسة في الجنة، لأن الجنة فيها رضى نفسي والجامع فيه رضا ربي))^(٥٧). وعن عثمان بن مظعون انه قال لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)): اني اردت أن اترهب. قال: لا تفعل يا عثمان فإن ترهب امتي القعود في المساجد انتظر الصلاة بعد الصلاة^(٥٨). والمعروف أن كون الجلوس في المسجد فيه رضى الله لأجل أن الله أمر بالحضور فيه بغض النظر عن سبب هذا الأمر وعلته، فالحضور الذي يكسب الروح الرقي والكمال هو الحضور تنفيذاً للأمر الإلهي فحسب بغض النظر عن الغايات الأخروية والاجتماعية الأخرى فضلاً عن الغايات الدنيوية^(٥٩)، ويشير إلى ذلك أيضاً حديث الخصال المتقدم بقوله ((عليه السلام)) ((أو رحمة منتظرة)) وعليه كانت المساجد ذات تأثير وضعي أو موضوعي في زيادة التقرب المعنوي إلى الله تعالى والخشوع له والتضرع إليه^(٦٠).

وفي المحاسن للبرقي عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال: ((من اقام في مسجد بعد صلاته انتظاراً للصلاة فهو ضيف الله وحق على الله أن يكرم ضيفه))^(٦١).

ثانياً: الجانب التربوي

يمثل مسجد المنطقة النواة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة، فعلى علماء التربية أن يضعوه في حساباتهم عندما يقتنون القوانين العصرية في التربية المستوحاة من القرآن وكلام المعصومين ((عليهم السلام))، وتزداد أهميته بعد أن نعرف تراجع كثير من الأسر - باعتبارها النواة الاجتماعية الأولى وعلى عاتقها تقع مسؤولية تربية الفرد - عن الدور المرسوم لها من قبل الشرع المقدس، وقد أشار إلى جملة من هذا التراجع الشيخ الفيلسفي في كتبه^(٦٢)، كما أن هناك بعض الجرعات التربوية المعقدة تعجز عن إعطائها الأسر الاعتيادية لأبنائها، فيضطلع بها المسجد الذي مازال يركز في نفوس مرتادية حب الله والتجرد عن الدنيا ونبذ العادات السيئة كالكلام الفاحش والتنايز بالألقاب والمزاح الفاحش والتغلب على الأمراض النفسية كالبلبل

(٥٧) الحر العاملي، الوسائل، ج ٣، باب (٣) من أبواب أحكام المساجد، ح ٦٦.

(٥٨) نفس المصدر، باب ٢، من أبواب المواقيت، ح ٧.

(٥٩) قسم مما ذكر هنا مؤيد بنتائج استطلاع الرأي المتقدم الذكر.

(٦٠) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج ١، مكان المصلى، الفقرة ٨، ص ١٧٨.

(٦١) الحر العاملي، الوسائل، ج ٣، باب ٢، من أبواب المواقيت، ج ١٠.

(٦٢) يراجع الطفل بين الوراثة والتربية للشيخ محمد تقي فلسفي.

والحرص والغرور والغضب والتكبر والعجب والرياء وحب النفس^(٦٣)، والتحلي بالأخلاق الفاضلة كالأثره والصبر والحلم والشجاعة والكرم والعطف واللين والتسامح والتواضع وحب الخير للآخرين وغيرها من الأمور وبهذا تكتمل شخصية الفرد المؤمن فنراه بعدنذ يختط لحياته خطأ مغايراً للذي بدأها به وينعكس ذلك واضحاً منه على علاقاته الاجتماعية وعلى أسرته، بل نراه يرجع إلى أسرته التي لم تعطه ما أعطاه المسجد فيفيض عليها مما رزقه الله من فيوضاته في المسجد، وقد رأينا ذلك واضحاً عند الكثير من إخواننا المؤمنين الذين حضروا إلى المسجد بعد تأسيس صلاة الجمعة في العراق^(٦٤) والذين حملوا المشعل التربوي من المساجد وادخلوه إلى بيوتهم وإلى إخوانهم وزوجاتهم وأمهاتهم وآبائهم، والى ذلك أشار حديث الخصال المتقدم بقوله ((عليه السلام)): أو كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى، فالحمد لله على جميع نعمه وجزيل إحسانه.

ثالثاً: الجانب العلمي والثقافي

وينقسم الكلام في مسألة استزادة الفرد المؤمن في حضوره في المسجد علمياً وثقافياً إلى عدة محاور:

المحور الأول: الاستفادة من الدروس الفقهية وما يتخللها من مواظ أخلاقية أو التفاتات ثقافية ودينية لمحاربة البدع والحركات المضللة كحركة الوهابية.

المحور الثاني: الاستفادة من الاستفتاءات المطبوعة أو المستنسخة والتي يتبادلها مرتادو المسجد، أو طرح أسئلة واستفتاءات لإمام المسجد^(٦٥) فيجيب على قسم منها ويؤجل القسم الآخر إلى حين رجوعه من النجف الأشرف، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل بقوله (أو آية محكمة).

المحور الثالث: الاستفادة من الأخوة المؤمنين باستعارة بعض الكتب والمجلات والكاسيات التي تتقف الفرد المؤمن وتعلمه أمور دينه سواء كانت في أصول الدين^(٦٦) أو فروعه أو كتب التاريخ وسيرة الرسول ((صلى الله عليه وآله)) وسير أهل البيت ((عليهم

(٦٣) ومما يذكر في هذا الصدد مما ينفع المؤمنين قرانته أن شاء الله كتاب مكارم الأخلاق، وفقه الأخلاق، وجامع السعادات، وتحف العقول، وإرشاد القلوب، ومجموعة ورأم، والخصال، والمحجة البيضاء.

(٦٤) تأسست صلاة الجمعة في عموم العراق في ٢١/ جمادى الثاني/ ١٤١٨ هـ وفي مسجد الكوفة بتاريخ ١٩/ ذي الحجة/ ١٤١٨ هـ.

(٦٥) استطلاع للرأي.

(٦٦) والمقصود بها كتب العقائد وهي التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد، أما فروعها فهي الرسالة العملية.

السلام))، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل بقوله (أو علما مستظرفا) وكل هذه المحاور مما له أثر في إعداد شخصية المؤمن الرسالي الذي يعي مسؤوليته التي خلقه الله من أجلها، لا مجرد أنه جاء ليأكل وينام وينكح، «إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» (٦٧)

رابعاً : الجانب الانتمائي والارتباطي

حيث أن عدم انتمائية الفرد تعني عصاميته وغروره وعدم خضوعه لجهة معينة، أما شعوره بأنه منتمي إلى وجود وكيان أكبر منه وأقوى منه وهو الله سبحانه وتعالى متمثلاً بالدين الإسلامي ومذهب أهل البيت فهذه غاية يجب أن يسعى لها كل أحد، والمسجد عندئذ هو حلقة الربط في انتمانه هذا، لأنه في زمان الغيبة الكبرى أصبح من خالف هواه وأطاع أمر مولاه من الفقهاء^(٦٨) هو الذي أمر الإمام الحسن العسكري ((عليه السلام)) بوجوب تقليده والرجوع له في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الفقيه أو المرجع له وكلاء منتشرون في المسجد. وعليه فقد وفر لنا المسجد جانب ارتباطنا بحوزتنا وانتاننا لها^(٦٩).

الفوائد الجماعية

وهي الفوائد المتحصلة من الحضور الجماعي في المسجد أو حتى الفوائد الفردية بجوانبها الأربعة المتقدمة لو وظفها الفرد في خدمة أسرته ومجتمعه فستصبح بالنتيجة فائدة جماعية من فوائد الحضور في المساجد، فمثلاً علم أهله ومجتمعه ما تعلمه من أخلاق تهذيب روحه بها، أو ربي أبناءه بالأسس التربوية التي تعلمها في المسجد أو نقل لهم ما استعاره من أخوته المصلين من كتب ومجلات واستفتاءات أو ربطهم بحوزتهم وبمقلدهم فهو بهذا حصل على الفائدة الفردية من جهة وحولها إلى فائدة اجتماعية أو جماعية من جهة أخرى.

أما الفوائد الاجتماعية والجماعية البحتة أو المباشرة فهي :

أولاً : تقوية الأواصر الأخوية الإيمانية بين أفراد المجتمع عند حضورهم في المساجد، وإحساسهم بقوة الإسلام، ووحدة صف المسلمين ويوحى بهذا صلاة الجماعة أو الجمعة وكذا الآيات والعيدين والطواف وصلاة الطواف جماعة والتي هي من أبرز مظاهر الوحدة وقوة

(٦٧) سورة الفرقان : ٤٤
(٦٨) وردت هذه الصفات في حديث عن الإمام العسكري ((عليه السلام)) رواه العاملي في الوسائل، ج ١٨، باب (١٠) من أبواب صفات القاضي، ح ٢٠.
(٦٩) يؤيد ذلك نتائج استطلاع للرأي.

الإسلام والمسلمين. وتدلل على اهتمام الإسلام وتشريعاته بنظام الكيان الموحد والروح الجماعية.

ثانياً : الترابط الاجتماعي بين المسلمين من خلال تعرف بعضهم على بعض، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل، وذلك بقوله ((عليه السلام)) : ((أخا مستفاداً في الله)) ، وبالتالي التزاور فيما بينهم والتوصل إلى حل المشاكل والقضايا التي تهم منطقتهم ومجتمعهم كمساعدة الفقراء والمحتاجين، وإنجاز المشاريع الخيرية ذات المصلحة العامة خاصة في القرى والأرياف كالطرق والأنهار وغيرها.

ثالثاً : حصول الاستقرار والسكون في نفس الإنسان المؤمن عند لقائه بإخوانه في المسجد، ويدل على ذلك قول الإمام الصادق ((عليه السلام)) : ((أن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الضمآن إلى الماء البارد))^(٧٠).

رابعاً : مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي أشار إليها الإمام أمير المؤمنين ((عليه السلام)) بقوله ((أو كلمة تردده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى)) ، فهي من الأمور المتحصلة عند الحضور إلى المسجد ولعل المسجد أوضح مصداق لتطبيق هذه المهمة، أو من المفروض أنهم جاءوا لطلب رضا الله فهم لا يخافون في الله لومة لائم.

خامساً : يعتبر المسجد المشخص الأول لما موجود في المجتمع من سلبيات لأنه ملتقى كل الطبقات وإليه ترد جميع أنواع السلبيات والمشاكل، وبذلك فالتوجيهات بخصوص هذه المشاكل تصدر منه، لذا فالمجتمع ميدان لتطبيق ما يأمر به المسجد^(٧١).

سادساً : إطلاع المسلمين على القضايا المعاصرة التي تهمهم خاصة تلك التي تهدد كيان الإسلام ووحدة، لذا فالمسجد يربي المجتمع للاهتمام بأمور المسلمين وقد ورد في الحديث : ((مَنْ أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))^(٧٢).

سابعاً : المسجد يزرع روح الأخوة الحقيقية والمسؤولية المشتركة فيما يتعرض له الإسلام من تحديات داخلية وخارجية، وهو بهذا يمثل دعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية،

(٧٠) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ح ٦٧، باب (٨)، رواية (١٠).

(٧١) من نتائج استطلاع للرأي.

(٧٢) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ح ٧٤، باب (٢٠)، رواية ١١٦.

قال أحد العلماء^(٧٣) : تربط الأمة الإسلامية ثلاث أواصر : إله واحد، وكتاب واحد، وقبلية واحدة – ولا يخلو من هذه الثلاثة مسجد – يَفْدُ إليها المسلمون من أقطار الأرض كل عام ليعبدوا هذا الإله الواحد بتلك الشريعة الواحدة، على أرض واحدة، هي أرض الوطن الروحي، وهكذا تجسدت وحدة العقيدة ووحدة الشريعة، ووحدة الوطن الأعلى ليذكر المسلمون أنهم وإن تفرقت أقطارهم واختلفت أنسابهم وألسنتهم وألوانهم، تجمعهم جامعة الدين والله والوطن، وإنه إذا جَدَّ الجَدَّ وجب أن يضحى كل فريق منهم بمصالحه الخاصة في سبيل المصلحة المشتركة^(٧٤).

ثامناً : يمثل المسجد جهة إعلامية مرعبة لأعداء الإسلام، وذلك لأنه المبرز لنقاط القوة في الدين الإسلامي والتي تميزه عن باقي الأديان والاعتقادات والأيديولوجيات وهذه النقاط متمثلة بالأسلوب الاجتماعي في التشريع والدعوة وكما قلنا فيما سبق فإن مكان تنفيذ هذه الأساليب هو المسجد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو جهة إعلامية مهمة في تحسين سمعة الدين الإسلامي وترغيب أفراد باقي الأديان للدخول فيه.

تاسعاً : المسجد وسيلة مهمة لتقليل الفوارق الطبقيّة الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع ولعل أوضح مصداق من المساجد في تطبيق هذه الفائدة هو المسجد الحرام وذلك أثناء مراسيم الحج حيث اللباس الواحد والحركة الواحدة.

عاشراً : ونختتم الفوائد الاجتماعية للمساجد بفائدة كبيرة ومهمة ومؤثرة في نشر الوعي والإيمان داخل صفوف المجتمع، ألا وهي إحياء الشعائر الدينية كذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين ((عليه السلام)) وكذلك مناسبات وفيات وولادات المعصومين ((عليهم السلام)) وكذلك المناسبات الإسلامية الأخرى كالبعثة النبوية والإسراء والمعراج وليالي القدر في شهر رمضان وغيرها. والكل قد لمس بنفسه ما لهذه المناسبات وإقامتها في المسجد من أثر طيب عليه، وما تركته من ذكريات مؤنسة في حياته، وما أعطته إياه من دروس وعبر^(٧٥)، وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٧٦).

المسجد راية

(٧٣) الشيخ محمد جواد مغنية.

(٧٤) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج ١، ص ٢٣٧.

(٧٥) من استطلاع الرأي.

(٧٦) سورة الحج : ٣٢

اصبح المسجد بعد الذي عرفاه عنه في فوائده الفردية والجماعية بمثابة الثغر الذي فيه ينظم المسلمون صفوفهم ويقفون إيمانهم ضد اعدائهم حتى أن المرابطة في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧٧) والتي هي أوضح مصاديقها ساحة القتال فسرت في حديث عن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) بالمسجد فقد جاء في وصيته ((صلى الله عليه وآله)) لابي زر: يا ابا زر إن الله يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات ويمحو عنك عشر سيئات، يا ابا زر اتعلم في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧٨)، قلت: لا، قال: في انتظار الصلاة خلف الصلاة، يا ابا زر اسباغ الوضوء على المكاره من الكفارات وكثرة (الاختلاف إلى المساجد) انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلکم الرباط، يا ابا زر كل جلوس في المسجد لغو الاثلاثة قراءة مُصلّاً أو ذاكر الله تعالى أو مسائل في علم^(٧٩).

لقد أدرك أعداء الدين والإسلام ومنذ زمان بعيد هذه الفوائد الدينية والاجتماعية للمسجد وعرفوا من خلالها بأن المسجد بالنسبة للدين الإسلامي بمثابة الراية إلى الجيش فحاولوا بشتى الوسائل الإيقاع بتلك الراية لينهار الجيش كله وحاولوا ذلك بشتى الوسائل الخبيثة المتاحة لهم، فكانت محاولاتهم تلك وردّها من قبل الخُص من المسلمين سجّالاً على مر التاريخ: ﴿كَلِمًا أَوْ قُوًى نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْقَاهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٨٠)، وكانت محاولاتهم تلك على محورين:

الأول: من ناحية هدم أبنية الجوامع والسعي في خرابها على شكل هجوم عدواني مباشر أو تحت ذرائع أخرى واهية غير متسمة ظاهراً بالعنوانية، ومن ذلك ما فعله الحجاج الثقفي عندما رمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق وهدمها خدمة لأغراض وأهداف الأمويين ومحاولاتهم في إطفاء نور الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا

(٧٧) سورة آل عمران : ٢٠٠

(٧٨) سورة آل عمران : ٢٠٠

(٧٩) الحر العاملي: الوسائل: ج ٣، باب ٢، من ابواب المواقيت، ح ٨.

(٨٠) سورة المائدة : ٦٤

والثاني : محاولة تفرغ الجامع من دوره الحقيقي عن طريق عرقلة كل الفوائد المتقدمة الذكر، بمنع الأذان مرة ومنع الصلاة أخرى أو مضايقة الأفراد البارزين المرتادين لتلك الجوامع أو محاربة الأفكار المؤثرة في المجتمع والتي يبثها المسجد عن طريق إنكفاء نقائضها وبث الإشاعات ضدها ومحاولة إخماد أثرها، ومن ذلك ما فعله الصهاينة ضد المصلين في المسجد حيث قتلوهم داخله، وذلك ضمن سلسلة أحداث ثورة الحجارة القائمة في الأرض الإسلامية المحتلة منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة.

لكن المسلمين (أعزهم الله) وعلى طول التاريخ وبفضل الله سبحانه وتعالى وبتقديمهم التضحيات تلو التضحيات قد أبقوا الراية مرفوعة إلى اعنان السماء حاملة على ساريتها كل تعاليم الإسلام وأهدافه لنلا تغوص في وحل الشرك والمادية والفرعونية.

خاتمة : في صلاة الجماعة

وبعد كل ذلك فلا نستغرب إذن أن ترد من الرسول ((صلى الله عليه وآله)) والأئمة المعصومين ((عليهم السلام)) أحاديث كثيرة تحت على الحضور في المساجد، ولعل المظهر الأوضح في هذا الحضور هو أداء صلاة الجماعة وربما كانت أهم مراسيم الحضور في المساجد وانفعها وتحت ظلها تتم كل المراسيم الأخرى المتقدمة، قال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((من سمع النداء فلم يجب من غير علة فلا صلاة له))^(٨٢) وقال أبو عبد الله ((عليه السلام)) : ((أما يستحيي الرجل منكم أن تكون له جارية فيبيعهها فتقول : لم يكن يحضر الصلاة))^(٨٣) وعن أبي عبد الله ((عليه السلام)) أيضاً قال : ((هم رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بإحراق قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون جماعة، فاتاه رجل أعمى فقال : يا رسول الله أنا ضريب البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي ((صلى الله عليه وآله)) شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة))^(٨٤)، وقال الصادق ((عليه السلام)) : ((من صلى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة فهو في ذمة الله عزّ وجلّ، ومن ظلمه فإنما يظلم الله، ومن حقره فإنما يحقر الله عزّ وجلّ))^(٨٥)، وقال أيضاً ((عليه السلام)) عن آياته ((عليهم السلام)) قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((من صلى المغرب والعشاء والآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة فكأنما أحيا الليل كله))^(٨٦)، وعن جميل بن صالح أنه سأل أبا عبد الله ((عليه السلام)) أيهما أفضل؟ يصلي الرجل لنفسه في أول الوقت أو يؤخر قليلاً ويصلي بأهل مسجده إذا كان إمامهم؟ قال : يؤخر ويصلي بأهل مسجده إذا كان الإمام)^(٨٧).

(٨٢) الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٥، باب (٢)، أبواب صلاة الجماعة، ح ١.

(٨٣) المصدر السابق، ح ٢.

(٨٤) الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٥، باب (٢)، أبواب صلاة الجماعة، ح ٩.

(٨٥) المصدر السابق، ح (٣)، ح ٢.

(٨٦) المصدر السابق، ح ٣.

(٨٧) المصدر السابق، باب (٩)، ح ١.

الفصل الرابع

تكاليفنا تجاه المساجد من القرآن والسنة الشريفة

مقدمة

يبو أن منزلة المسجد في الإسلام — بعد ما سمعته مما تقدم في الفصول الثلاثة — أصبحت واضحة، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من النصوص ما يدل على عظم منزلة المسجد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٨٨). ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٨٩)، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٩٠)، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٩١).

أما السنة الشريفة فقد روي عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) لجبرائيل ((عليه السلام)): يا جبرائيل أي البقاع أحب إلى الله عز وجل؟ قال: المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً وأخرهم خروجاً منها))^(٩٢)، وروي عن الإمام موسى بن جعفر ((عليه السلام)) عن أبياته ((عليهم السلام)) عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قال: ((أن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بغذاب قال: لولا الذين يتحابون بحلالي، ويعمرون مساجدي، ويستغفرون بالأسحار، لأنزلت عذابي))^(٩٣).

وما جاء في المقنع قال ((أن في التوراة مكتوباً أن بيوتي في الأرض المساجد لمن تظهر في بيته ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر))^(٩٤)، ومن هذا كله والذي تقدمه نعرف علو منزلة المسجد في الإسلام وعظم الفوائد التي يقدمها، وفي هذا الفصل نتعرف على تكاليفنا تجاه هذا الصرح العظيم حتى يستمر عطاؤه لنا وإلا فسوف ينحسر دوره ويضيع وقد تم

(٨٨) سورة الجن: ١٨

(٨٩) سورة الأعراف: ٢٩

(٩٠) سورة الأعراف: ٣١

(٩١) سورة آل عمران: ٩٦

(٩٢) الحر العاملي، الوسائل، ج ٣، الباب ٦٨ من أبواب أحكام المساجد، ح ٢.

(٩٣) الحر العاملي، الوسائل، ج ٣، باب (٨) من أبواب أحكام المساجد، ح ٥.

(٩٤) المصدر السابق، باب (٣)، ح ٥.

استحواؤها من القرآن الكريم والسنة الشريفة. ومن هذه التكاليف^(٩٥).

أولاً : إعمار المساجد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^(٩٦).

تبين الآية أن الذي يعمر المساجد هو الذي يرتادها بقلب ظاهر وبصر خاشع فهو يعمرها معنوياً فتواجد المؤمنين في المسجد بهذه الصورة إحياءً له وعماراً له بذكر الله فيه، وهذا لا يحصل إلا من المؤمنين لذلك خصت الآية عماره المساجد بالمؤمنين، ولا تدل الآية على البناء المادي^(٩٧)، لأن كثيراً من المنافقين قد تحقق منهم البناء خارجاً، أما صاحب تفسير السعادة^(٩٨) فيرى أن العمارة المقصودة هي عمارة القلب لأنه بيت الله وحرمة الله ومسجده الحقيقي والآية المذكورة لها ربط بما سبقها ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَغْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾^(٩٩)، وقد ثبت أن عمارة المسجد الحرام المادية قد فعلها مشركو قريش، إذن فالإعمار المقصود في الآيتين ليس هو الأعمار المادي بل المعنوي، وهذا هو دأب الشرع المقدس في تقييم الأعمال، إذ ليس المهم فيه هو الأمور الظاهرية المعنوية منه بل أهم شئ فيه النية والقصد، وقال الرسول الأكرم ((صلى الله عليه وآله)) : ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم))^(١٠٠)، وقال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم ((عليه السلام)) قل للملأ من بني إسرائيل لا تدخلوا بيئات من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة وأكف نقية))^(١٠١)، وعن النبي ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((إذا أنزل الله عاهة من السماء عوفي منها حملة القرآن ورعاة الشمس (أي الحافظون لأوقات الصلاة) وعمار المساجد))^(١٠٢) وهذا الحديث يبين إنزال عمار المساجد بمنزلة الحافظين لصلاتهم ومنزلة حملة القرآن وهؤلاء الحافظون هم المؤمنون لا مطلق الحافظين وكذلك الحاملون للقرآن المراد بهم العاملون بتأويله وتفسيره لا مطلق الحفظة، لذا فالمراد بالعمار المعنى الذي ذكرناه

(٩٥) المقصود بالتكاليف، ليست أحكام المساجد وأدائها إذ أن ذلك سيأتي في الفصل السادس بل المقصود هو تكاليفنا تجاه المسجد لحفظ العلاقة التبادلية ويعتبر هذا شرط في حصول الفوائد المتقدمة.

(٩٦) سورة التوبة : ١٨ .

(٩٧) وإن كان فضل البناء المادي لا ينكر وقد ورد الحث عليه في السنة الشريفة (أنظره ثانياً).

(٩٨) الحاج سلطان محمد الجنابدي، بيان السعادة في مقامات العبادة، ج ٢، ص ٢٤٨ .

(٩٩) سورة التوبة : ١٧ .

(١٠٠) البحار، ح ٧٠، باب (٥٤)، رواية ٢١ .

(١٠١) المجلسي، بحار الأنوار ج ٧٧، ص ١٠ .

(١٠٢) حسين الثوري، مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ١٤٩ .

لا البناء وإن كان منطبقاً على البناء المخلصين المرتادين للمساجد، وعلى كل حال فبقيد الإخلاص يمكن الحمل على المعنيين الظاهر وغيره.

ثانياً : الحث على بناء المساجد

عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قبل وفاته وهي آخر خطبة له في المدينة حتى لحق بالله عزّ وجلّ فوعظنا بمواعظ نرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، واقشعرت منها الجلود، وتقلقت منها الأحشاء، أمر بلالا فنادى، الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) حتى ارتقى المنبر إلى أن قال في خطبته : ((ومن بنى مسجداً في الدنيا اعطاه الله بكل شبر منه أو قال بكل ذراع منه مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وزبرجد ولؤلؤ . . .))^(١٠٣)، وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في حديث طويل أنه رأى ليلة الإسراء هذه الكلمات مكتوبة على الباب السادس من الجنة : ((لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، من أحب أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فليبن المساجد ومن أحب أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد ومن أحب أن لا يظلم لحدّه فلينور المساجد، ومن أحب أن يبقى طرياً تحت الأرض فلا يبلى جسده فليشتر بسط المسجد))^(١٠٤)، ومن هذين الحديثين نفهم مدى أهمية بناء المساجد والتي لولاها لما صارت كل تلك الفوائد التي تقدمت، لذا ترى الرسول ((صلى الله عليه وآله)) قد أمر أن ينادي في الناس ويرتقي المنبر فيحكي لهم ما لباني المسجد من ثواب، وكذلك الكلمات المكتوبة على باب الجنة في فضل بناء المسجد وقد اقترنت كتابتها مع أصول الدين (التوحيد، النبوة، الإمامة) والمهم في بناء المساجد مجرد وجودها ولو بابتسط الدرجات من الحجم والارتفاع، بل ورد في آثار المعصومين ((عليهم السلام)) ما يدل على الاستحباب باتخاذها مكشوفة ففي صحيح الحلبي عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) حيث أجاب حين سأل عن المساجد المضللة (المسقوفة) أتكره الصلاة فيها؟ فقال : ((نعم، ولكن لا يضركم اليوم^(١٠٥) ولو كان العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك))^(١٠٦) وفي مرسل الفقيه للصدوق : قال

(١٠٣) نواب الأعمال، باب مناهي النبي ((صلى الله عليه وآله))، ص ٢٤٩، نقلًا عن بحار الأنوار للمجلسي، ج ٧٦.

(١٠٤) حسين النوري، مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٨٥.
(١٠٥) باعتبار أن العرف في ذلك الزمان أو الحالي أيضاً يصرّ على جعلها مسقوفة لا أن سقّفها مهم في أصل الشريعة.

(١٠٦) الوسائل، باب (٩)، من أبواب أحكام المساجد، حديث (٢).

أبو جعفر ((عليه السلام)) : ((أول ما يبدأ به قائمنا سقوف المساجد فيكسرها ويأمر بها فتجعل عريشاً كعريش موسى^(١٠٧)))^(١٠٨)، ومن آداب البناء الأخرى ما يتعلق بالمنابر فعن جعفر الصادق ((عليه السلام)) عن أبيه عن آبائه ((عليهم السلام)) : ((إن علياً ((عليه السلام)) مرَّ على منارة طويلة فأمر يهدمها ثم قال : لا ترفع المنارة إلا مع سطح المسجد))^(١٠٩)، أما ما يتعلق بزخرفة المساجد وتزيينها فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق ((عليه السلام)) بعد أن سُئل عن الصلاة في المساجد المصورة فقال : ((أكره ذلك ولكن لا يضررك اليوم^(١١٠) ولو قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك))^(١١١)، أما تعلية المسجد فقال الفقهاء انه مكروه لما ورد أن حائط مسجد رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) كان قامة^(١١٢).

ثالثاً : التقوى أساس المسجد

وليس الاعتناء ببناء المسجد وحده كافياً في صلاحية المسجد للعبادة ما لم تكن نية باتيه إرادة وجه الله سبحانه وتعالى ولو بدرجة من الدرجات، وإلا فإن المسجد لا يحقق الأهداف المتوخاة من بنائه، بل ربما كانت نتائج بنائه عكسية، وربما كان أوضح مصداق على هذا النوع من المساجد مسجد ضرار، قال الله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِقَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْىَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ، أَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شِقَاقٍ جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١٠٧) ورد هذا التشبيه في حديث للإمام الصادق ((عليه السلام)) أيضاً يصف فيه طريقة بناء مسجد رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) وأنه كان مضلاً تضليلاً بسيطاً لأجل الوقاية من الحر فقط وكان لا يمنع المطر وسقفه عبارة عن سوارى من جذوع النخل قد طرحت عليه العوارض والخصف طرْحاً بدون تطيين وعندما طلبوا من الرسول ((صلى الله عليه وآله)) تطيينها لمنع المطر قال ((صلى الله عليه وآله)) : لا، عريش كعريش موسى ((عليه السلام)).

(١٠٨) الوسائل، باب ٩ من ابواب أحكام المساجد، حديث ٤.

(١٠٩) الوسائل، باب ٢٥، من ابواب أحكام المساجد، حديث ٢.

(١١٠) عدم الضرر هذا بالنسبة لمن يريد أن يصلى في تلك المساجد، أما من أراد أن يبني المساجد فعليه أن يراعى عدم البذخ واللاإسراف وعدم التركيز على المظهر فحسب، بل يكون هدفه مجرد توفير مكان لعبادة الله سبحانه، ومن هذا تعرف ضلال ما عليه البعض من بناء المساجد من بناء المساجد من الذين يهدفون إلى المفخرة والمباهاة والعيذ بالله.

(١١١) الوسائل، باب ١٥، من ابواب أحكام المساجد، حديث (١).

(١١٢) المصدر السابق، ٩، حديث ١

حكيم^(١١٣)، والآيات واضحة الدلالة على المراد، وما يدل بالخصوص فيها على عدم صلاحية هكذا مسجد للعبادة قوله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾^(١١٤) فهو أمر مؤكد في النهي عن إقامة الصلاة فيه، إذن فالمقوم لوجود المسجد ليس ضخامة البناء ولا مكاتة بناته المادية أو الاجتماعية، بل المقوم له هو مقدار ذكر الله سبحانه فيه، ومدى فاعلية ذلك الجامع في تغيير المجتمع نحو الأفضل، ومقدار همة وزهد بناته ومقدار إيمانهم بالله، فعندئذ يكون المسجد الذي بنوه قد أسس على التقوى فيكون صالحاً للعبادة، وهذا هو سرّ الفرق والاختلاف بين المساجد الإسلامية بعضها مع بعض من جهة وبينها وبين دور العبادة في الأديان الأخرى كالكنائس من جهة أخرى، وما ذكره الدكتور مؤنس^(١١٥) خير شاهد على هذا الفرق المذكور بين الكنيسة والمسجد حيث قال: ((المساجد منشآت صغيرة الحجم بسيطة العمارة، ونادراً ما تكون سامقة الارتفاع^(١١٦)... ولو أخذت الصخر الذي بنيت به كنيسة النوتردام في باريس لوجدته يعدل في الحجم والوزن أربعة أو خمسة من مساجد الإسلام الكبرى، فإذا ذكرت إلى جانب ذلك أن معظم مساحات مساجد الإسلام صحت خالية غير مسقوفة^(١١٧) تبين أن مباني أعظم المساجد ليست بشيء^(١١٨) بجانب صغائر الكنائس والبيع ومعابد الهندوكيين والبوذيين))^(١١٩)، لكن هذا لم يرفع من شأن الكنائس أو يحط من شأن الجوامع بل على العكس كان مؤشراً على وجود التقوى التي هي أساس بناء الجوامع^(١٢٠).

ويمكننا هنا إتماماً للفائدة ذكر وتقصي بعض الاختلافات الأخرى بين المسجد ودور العبادة الأخرى بالقول: إن المسجد حافظ على قداسته ومراسيم العبادة حين شرع عدم الاختلاط بين الجنسين الذي يسبب انتهاك حرمة المكان المقدس، كما يحصل في دور العبادة الأخرى كالكنائس وغيرها من اختلاط محرم، فنصت الشريعة على أن مسجد المرأة بيتها، كما أن المسجد لم يكن يوماً من الأيام وسيلة للتلاعب بعقول الناس وابتزازهم كما يحصل من بعض

(١١٣) سورة التوبة : ١٠٧ - ١١٠

(١١٤) سورة التوبة : ١٠٨

(١١٥) د. حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، كتاب المسجد.

(١١٦) كان على الدكتور أن يذكر العلة في ذلك والتي هي كراهة تغليه جدران المسجد.

(١١٧) كأغلب المساجد المهمة في الإسلام كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الخوفة والسهلة وغيرها.

(١١٨) والكلام هنا طبعاً بحدود الناحية العمرانية لا أكثر.

(١١٩) الدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، كتاب المساجد.

(١٢٠) على أن بعض الجوامع القليلة قد ركز فيها على الناحية العمرانية فقط فتكون مشمولة بالكلام.

الأساقفة والقسيسين^(١٢١) في دور العبادة الأخرى، حيث نشرت إحدى الصحف خبراً عن قس إيطالي طرح عقوداً لشراء أرض في الجنة، ومما يذكر في المقام أيضاً أن الكنيسة كانت ضد العلم^(١٢٢)، وضد أي طرح يناقض أطروحتها حتى لو كان علمياً صحيحاً مثبتاً، بينما المسجد كان وما يزال يهتم بالعلم بل هو منبع العلم كما عرفت من حديث الوشاء وغيره في الفصول السابقة، وهكذا نجد أن المسجد على النقيض تماماً من بقية الدور العبادية الأخرى، لأن المسجد يكشف عن واقع الدين ويعيش بين الناس ويراعي مصالحهم وينظر في همومهم ومشاكلهم، لذا تراه نجح وقاد اجتماعياً وفكرياً، كانت الكنيسة وما زالت انعزالية غريبة عن أصحابها تفصل بين الدين والحياة حتى أنها غالباً تبنى على مرتفع خارج حدود المدينة، ولا يدخلونها إلا يوم الأحد.

ويمكن هنا ذكر الحادثة التي نقلها أحد العلماء^(١٢٣) كشاهد ومؤيد لمسألة كون التقوى أساس المسجد وليس شموخ البناء وزخرفته، حيث قال ما نصه: ((أن مجموعة من المبشرين وردوا مدينة أصفهان فقالوا لأهلها، ألا ترون أن كنايسنا عامرة ولطيفة ومزوقة ومساجدكم خاوية قديمة متهدمة فحفّ الناس إلى علمانهم وفضلانهم يلتمسون منهم الجواب على هذه الشبهة التي انقذت في آذنانهم، فمنهم من سد بابه ومنهم من قال لا أعرف وآخر يقول ليس من اختصاصي إلا واحد كان في بيته فسمع لغطاً بين الناس فخرج إليهم وسألهم ف قيل له بالأمر فقال: عندي الحل، وأمر بالاجتماع في مسجد المدينة، وإنه سيصلي بهم جماعة، وهناك يرون الجواب، فاجتمع الناس وصعد بهم خطيباً وقال للمسيحيين: إن كنايسكم عامرة لأنها خالية من ذكر الله سبحانه ونحن نذكر الله سبحانه في مساجدنا كثيراً فتخشع وتتصدع من خشية الله تعالى فتكون بهذا الحال من الانهدام. ومحل الشاهد في القضية أنه لما صار وقت الأذان وقد اجتمع خلق كثير، كلما قال المؤذن (الله أكبر) إنفلق السقف وانفطر فطراً كبيراً فانهمز الناس لنلا يسقط عليهم، وما أمسى المساء إلا والمبشرون خارج المدينة خائفون خائبون، ولما سأل هذا الرجل، من أين علمت أن السقف سيحصل له ما حصل عند ذكر الله سبحانه؟ قال: لأنني عرفت أن هذا

(١٢١) أسماء لمراتب أو مناصب علماء الدين المسيحيين.
(١٢٢) أهدمت الكنيسة العالم (غاليليو) لما قال بكروية الأرض، وكانت الكنيسة سبباً في تأخير العلم وعاشت أوروبا فترة من الجهل والظلام بسبب سيطرة الكنيسة على الحياة، ولكن بعد عصر الثورة الصناعية وفك طوق الكنيسة، أصبح لدى الغربيين رد فعل عنيفة تجاه الدين حتى قالوا أنه (أفيون الشعوب) وهذا من سوء توفيقهم إذ أن الخلل ليس بالتوحيد أو الدين إنما الخلل بالنفس الأمارة بالسوء للقسيسين والرهبان.
(١٢٣) وهو آية الله العظمى السيد محمد الصدر ((قدس سره)) نقلاً عن والده ((قدس سره)).

مما يتوقف عليه أساس العقيدة الدينية والله سبحانه يعزّ دينه وهو مطلع على ذلك فلا بد أن يرعانا بكراماته ومعجزاته))^(١٢٤)، ويمكن اعتبار هذه الحادثة رداً على أولئك الذين يقفون مبهورين أمام الحضارة الغربية المبهرجة وقد ذهب سنا برقها بأبصارهم، وكلهم أسى وحزن لعدم امتلاكهم مثلها ولكنهم غير ملتفتين إلى نعمة الإيمان بالله ورسوله والأئمة المعصومين ((صلوات الله وسلامه عليهم)) التي فقدها الغربيون رغم أنهم قد ربحوا الحضارة المادية، لكننا وإن خسرنا هذه الحضارة إلا أننا ممتلكون لأسباب الوصول إلى مراتب الإيمان بالله ورسوله والأئمة ((صلوات الله وسلامه عليهم)) وبالإضافة إلى هذا فالحضارة الغربية قد وصلت إلينا كوسائل مساعدة لهدفنا هذا وبدون تعب والحمد لله رب العالمين، فلماذا لا يتعظ أولئك المبهورون ويعودون عن عيهم.

رابعاً : الحث على السعي إلى المساجد

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١٢٥) وفي الآية دلالة واضحة على الأمر بالسعي إلى ذكر الله في المسجد^(١٢٦)، وقد طفحت السنة الشريفة بحث الناس على السعي إلى المساجد وبينت الفضل العظيم لهذا الفعل، لأنه الخطوة الثانية المكملة لبناء المساجد على التقوى التي تمثل الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى أهداف الإسلام المتوخاة من المسجد. وقال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((ألا أن بيوتي في الأرض المساجد تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ألا طوبى لمن كانت المساجد بيوته ألا طوبى لعبد توضع في بيته ثم زارني في بيتي ألا أن على المزور كرامة الزائر ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة))^(١٢٧). وعن علي بن الحكم، عن رجل، عن أبي عبد الله ((عليه السلام))، قال : ((مَنْ مشى إلى المسجد لم يَضَع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الأرضيين السبع))^(١٢٨)، وعن مرزم أيضاً قال : ((عليكم في الصلاة في

(١٢٤) ذكر ذلك في أحد لقاءات آية الله العظمى السيد محمد الصدر ((قدس سره)) مع مجموعة من طلبة العلوم الدينية.

(١٢٥) سورة الجمعة : ٩

(١٢٦) وأن كانت الآية نازلة في صلاة الجمعة إلا أنها تتضمن الحث على الحضور في المساجد.

(١٢٧) حسين النوري، مستدرک الوسائل، ح ٣، ص ٣٨٥.

(١٢٨) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح ٣، باب (٤) من أحكام المسجد، ح ١.

المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز))^(١٢٩)، وعن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات وعشر سيئات ورفع له عشر درجات))^(١٣٠)، وروى الكليني عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((إن علي بن الحسين ((عليه السلام)) استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلف بالغالية فقال له : جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين قال : إلى مسجد رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) أخطب الحور العين إلى الله عزّ وجلّ))^(١٣١). وهذا الجواب من الإمام ((عليه السلام)) طبعاً موافق لمستوى السائل^(١٣٢) ومعناه والله العالم أن الإمام ((عليه السلام)) أراد أن يبين لهذا المولى أن دخول المسجد ثوابه الجنة والجنة مسكن الحور العين فيكون دخول المسجد بمثابة خطبة الحور العين والزواج منهنّ في الجنة، على أن الإمام زين العابدين كان يشتري العبيد ويبقيهم عنده عاماً ثم يعتقهم بعد أن يعلمهم الإسلام الحقيقي وولاية أهل البيت ليكونوا دعاة له بعد عتقهم، فيمكن أن نفهم من الحديث أن الإمام ((عليه السلام)) أراد أن يفهم هذا العبد قبل عتقه أهمية السعي إلى المساجد والله العالم.

خامساً : عدم هجر المساجد والسعي في خرابها

خراب المسجد ضد عمارته، وقرن الله تعالى الخراب بشدة الظلم، فقال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٣٣)، وروي عن الإمام الصادق ((عليه السلام)) أن المراد بذلك قريش حين منعوا رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) دخول مكة والمسجد وهناك بعض المفسرين ممن قال أنها وصفت الروم عندما غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه إلى أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيام عمر، فصاروا لا يدخلونها إلا

(١٢٩) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٣٥.
(١٣٠) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح ٣، باب (٤) من أحكام المسجد، ح ٣.
(١٣١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح ٣، باب (٢٣)، من أحكام المساجد، ح ١.
(١٣٢) وإلا فإن همة الإمام ((عليه السلام)) أعلى من ذلك بما لا يوصف، والمقام من باب (كلم الناس على قدر عقولهم).
(١٣٣) سورة البقرة : ١١٤

خائفين يتهيبون من المؤمنين أن يبطشوا بهم، ومما يؤيد القول الأول، ما روي أن رسول ((صلى الله عليه وآله)) أمر أن ينادي بعد نزول الآية: ((لا يحجّن بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان))^(١٣٤) إلا أنه وكما يقال في الاستنباط ((أن الوارد لا يخص المورد))، لذا فالآية جاءت بحكم عام تصف الساعي في خراب المساجد بأنه في غاية الظلم، والمقصود هنا بالخراب ليس الهدم المادي بل الهدم المعنوي، وإن كان الهدم المادي مصداق من مصدايقه أي لو تم هدم بناء الجامع فهذا الأمر يكون بالتالي هدم لأهداف الجامع. فهو هدم معنوي من هذه الناحية، لذا فالهدم المعنوي أعم من المادي وغيره فيكون هو المقصود بالآية ويمكن طرح مؤيدات ثلاث لهذه النتيجة:

المؤيد الأول: أن الخراب ضد العمران — من عمرَ يَعْمُرُ — بينما البناء ضد الهدم، فيقال بيت عامر وهذا بيت خرب، وهذه حجرة خربة، أي لها وجود، ولكنها مهجورة، فأصابها القدم والعق.

المؤيد الثاني: قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿أَوَلَيْكَ مَا كَانُوا لَهُمْ أُنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾^(١٣٥) بينما هم في البداية سعوا في خرابها، فلو كان الخراب بمعنى الهدم المادي فكيف يدخلون المساجد المهذومة، لذا فالآية تبين شدة الظلم ممن سعى في هدم المساجد معنوياً وسعى في هجرانها وتعطيل دورها الاجتماعي والديني سواء عن طريق منع الصلاة فيها أو إزالة أبنيتها من الأساس.

المؤيد الثالث: قول أبي عبد الله ((عليه السلام)): ((ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه))^(١٣٦).

أما السنة الشريفة فقد أكدت على ملازمة المسجد وعدم هجره، حتى أن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قد جعل ذلك من ضمن وصاياه حيث قال: ((الله الله في بيت ريكم فأنه إن ترك لم تنظروا))^(١٣٧)، فيمكن أن نفهم من الحديث والله العالم أن هجر المسلمين لبيت الله وهو المسجد يؤدي إلى خسارتهم العناية الإلهية وأنه سبحانه لا ينظر إليهم أو أن هجر المسجد

(١٣٤) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، باب (٣١)، ص ٢٦٧.

(١٣٥) سورة البقرة: ١١٤

(١٣٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، باب (٤) من أبواب قراءة القرآن، ح ٢.

(١٣٧) نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب ((عليه السلام))، باب الوصايا.

يؤدي إلى عدم الإمهال والأنتظار من قبل الأعداء لأنه وسيلتنا للوقوف في وجه عدونا فما دمنا نرتاده فنحن على خير أما لو تركناه فهذا يعني ضعفنا وتفرقتنا وسهولة انقراض العدو علينا وقضاءه علينا، ومما نقل عن الأئمة ((عليهم السلام)) بهذا الصدد، ما نقله زريق عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها فأوحى الله إليها وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة ولا أظهرت لهم في الناس عدالة ولا نالتهم رحمتي ولا جاورني في جنتي))^(١٣٨)، وقد وقف الرسول الأكرم ((صلى الله عليه وآله)) موقفاً شديداً ممن كان يقاطع المسجد أو لا يحضر صلاة الجمعة أو الجماعة واستنكر ذلك منهم أشد الاستنكار وقد قال مرة :

((ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن تأمر بحطب، فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم نار فتحرق عليهم بيوتهم))^(١٣٩)، وقال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) في قوم لا يحضرون الجماعة معاً في المسجد : ((ليحضرن معنا صلاتنا جماعة، أو ليتحولنَّ عَنَّا ولا يجاورونا ولا نجاورهم))^(١٤٠).

ومن كل هذا نفهم أن القرآن الكريم والرسول ((صلى الله عليه وآله)) والأئمة ((عليهم السلام)) قد شددوا على الحضور في المساجد حتى أن هناك بعض الأحاديث توحى ببطلان صلاة من لا يحضر إلى المسجد وكان من جيرانه إلا أن الفقهاء فهموا منها الكراهة، وما هذا إلا لبيان مدى أهمية المسجد ودوره الأساس في تفعيل دور القائد ومن يعمل تحت رايته وإلا لضاعف الكثير من أهداف الإسلام. وقد بقي هذا الهاجس وهو رعاية المساجد وتعهدها حتى في زمان الغيبة الكبرى من قبل العلماء العاملين جزاهم الله عنا خير جزاء المحسنين، وسيأتي في الفصل القادم بيان علاقة الحوزة الشريفة مع المساجد.

(١٣٨) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٣، أبواب أحكام المساجد، باب (٢)، ح ٨
(١٣٩) المصدر السابق، ح ٢.
(١٤٠) المصدر السابق، ح ٧.

الفصل الخامس

المسجد والحوزة العلمية

مقدمة

كنا فيما تقدم من فصول الكتاب نتحدث عن المسجد من ناحية تشريعية وتاريخية ونطرقنا أيضاً لمناقشة فوائد الحضور في المساجد من ناحية نظرية وإمكانية أحياناً ومن ناحية واقعية أحياناً أخرى^(١٤١)، ونود في هذا الفصل أن نتنقل بالقارئ الكريم إلى الواقع المعاصر والمعاش لنرى ما للمسجد من وظائف وما علينا من واجبات تجاهه، ومن المعلوم أن القيادة الدينية النيابية هذا اليوم هي بيد الحوزة العلمية الشريفة. وبعد أن عرفنا منزلة المسجد في الإسلام وأهميته، لذا أصبح من الضروري أن يكون المسجد هو الأداة التي تصول بها الحوزة الشريفة لتنفيذ وظائفها، إذن فيجب علينا قبل كل شيء أن نتعرف على وظائفها في زمان الغيبة الكبرى، لنعرف مدخلية المسجد في أداء وتنفيذ تلك الوظائف.

أهمية الحوزة العلمية

ما زالت الحوزة العلمية منذ تأسيسها ولحد هذه اللحظة هي القيمة الحقيقية على الدين والمذهب والحامية له، حيث بذلت من الجهود العظيمة التي لا تضاهاى، وقدمت من عصابات أفكار أبنائها وجهودهم وشبابهم وأوقاتهم . . . ودمائهم ودموعهم وعرقهم ما حفظ للمذهب وجهه وللدين عزّه، فهي من ناحية تعهدت القرآن الكريم بالتفسير والحديث بالحفظ والتدوين والتحقيق وتراث أهل البيت ((عليهم السلام)) وسيرتهم بالتصنيف، فكانت الناطق الحقيقي باسم المذهب الشيعي الإمامي والممثل الوحيد له في وجه ما يعتريه من شبّهات وهجمات فكرية شرسة من مناوئيه.

علاقة الحوزة العلمية بالمجتمع

محل الحوزة العلمية من المجتمع محل القطب من الرحي، فهو ينظر إلى الحوزة وإلى

(١٤١) وخاصة عند ذكر بعض فوائد المسجد المستوحاة من استطلاع الرأي المتقدم.

علمائها فما قالت الحوزة قاله المجتمع وما نهتهم عنه انتهوا، فكان للحوزة الدور الأساسي في تربية المجتمع وتثقيفه من خلال إصدار المجلات والكتيبات والكتب والتفاسير والسير.

ودأب أبناء المجتمع في الرجوع إلى الحوزة بكل صغيرة وكبيرة ابتداء من مسألة ثبوت الهلال وانتهاء بالأمور المصيرية كاحتلال الإنكليز لبلدانهم، وما هذا إلا لثقة الناس بالحوزة العلمية التي كانت سبباً من الله سبحانه وتعالى لحفظ الإيمان والإسلام في قلوب وعقول الناس.

وهكذا كانت علاقة الحوزة بالمجتمع علاقة تبادلية، فأحدهما يتقوم بالآخر، وأحدهما، ينتفع من الآخر، ولهذه العلاقة التبادلية جانبان:

الجانب الأول: ما تقدمه الحوزة للمجتمع (وظائف الحوزة):

ويمكن حصر أهم الوظائف بالنقاط التالية:

أولاً: إعداد المجتهدين والمجتهدين القادة، لأجل إدارة أمور الناس من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وتوجيه الناس وإرشادهم في كل الأصعدة، وربما كانت هذه الوظيفة هي الأهم من بين الوظائف جميعاً، لأنها وإن كانت نتيجة من نتائج وجود الحوزة إلا أن الحوزة بدون المجتهد تضيع وتفكك وتمزق، فهو المقوم لوجودها وعلّة استمرارها.

ثانياً: إعداد المحققين والفضلاء والكتّاب لأجل إنضاج وتطوير حركة التأليف، ونشر الوعي في صفوف المجتمع عبر استلهام العبر والمواعظ من القرآن والسنة الشريفة بما يناسب العصر وطرحها للناس، أو لا أقله تبويب آثار أهل البيت ((عليهم السلام)) وفهرستها وطرحها للناس.

ثالثاً: إعداد المبلغين والخطباء لتذكير الناس بالله سبحانه وتعالى وتقوية علاقتهم به وتوجيههم نحو الطريق الصحيح عن طريق رصد كل ألوان الانحراف والفساد وتشخيصها والتحذير منها، أو تقديم الحلول الناجحة لها، بالإضافة إلى قيام الخطباء والمبلغين بإحياء ذكرى سيد الشهداء الحسين ((عليه السلام)) والمناسبات الدينية الأخرى.

رابعاً: رد الشبهات والمؤامرات التي تحاك ضد المذهب بمختلف أساليب الرد سواء كان على شكل كاسيتات صوتية أو نشرات أسبوعية أو شهرية، فالحوزة من هذه الناحية كانت ولا زالت المدافع المغوار الذي لا يكل ولا يمل ضد كل ألوان الدسائس التي يتعرض لها الدين.

الجانب الثاني: ما يقدمه المجتمع للحوزة: - ويمكن بيان ذلك بنقطتين:

أولاً : تستند الحوزة استناداً كاملاً على قواعد اجتماعية، وبتعزال المجتمع عنها تفقد فاعليتها، لأن المجتمع هو ميدان التطبيق فبدون المجتمع يصبح العلم بلا عمل ولا خير فيه، فواجب المجتمع تجاه الحوزة هو أن يربط نفسه بها ويتعاون معها في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة دائماً لتلقي ما يصدر عنها مباشرة، بل يكون المجتمع جزء من الحوزة، حيث أن مفهوم الحوزة الحقيقي لا يشمل المعممين فقط بل يشمل كل الشيعة حتى غير طلبة العلوم الدينية لأنهم جزء من الجهاز المرجعي، وجزء من الحوزة الناطقة.

ثانياً : المجتمع هو المعين الثر الذي يرفد الحوزة العلمية بطلبة العلم، ولو افترضنا نضوب هذا المعين وانقطاعه لكانت النتيجة حتماً انهيار الكيان الحوزوي.

ومن هذا الجانب نخرج بنتيجة وهي أن أعداء الدين التفتوا إلى هذه العلاقة بين الحوزة والمجتمع وحاولوا تقطيع أواصر الارتباط بينهما، وقد ذكرنا في كلام سابق كيف أن الضربة وجهت إلى المسجد باعتباره الوسيلة الأوضح للاتصال بل أن الوسائل كلها مندرجة ضمنه.

ومن المحاولات التي حاولها الأعداء من أجل عزل الحوزة عن المجتمع هي تفرغ الحوزة عن محتواها القيادي الشامل وتصويرها بأنها ذات وجه واحد وهو الدين ولا تشمل أو تغطي جوانب الحياة الأخرى، واتهموا من يرتبط بها بالرجعية أو غير ذلك، وطبلوا وزمروا لشعارات رفوها، مفادها فك العلائق والروابط الكثيرة بين الدين وجوانب الحياة الأخرى تمهيداً لتشويه صورة عالم الدين وتأطيرها بإطار ينفر منه الواعون والمثقفون والملتزمون ويدنو منه التافهون وأصحاب عقول ربات الحجال.

وهنا برز دور المعمم أو إمام الجماعة أو الوكيل لمساعدة المجتمع على الارتباط بالحوزة وذلك عن طريق تفعيل دور المسجد وتهينة المقدمات التي توصل إلى الفوائد الدينية والاجتماعية التي تقدم ذكرها والتي هي مندرجة ضمن وظائف الحوزة العلمية المذكورة في الجانب الأول في الصفحة قبل السابقة، وقبل التعرف على دور المعمم أو إمام الجماعة أو الوكيل في المجتمع وكيفية تسخير المسجد ليحقق من خلاله تلك الفوائد ويبرء من خلالها ذمته بأداء تلك الوظائف، نتعرف على النظام الداخلي للحوزة وعلاقة المسجد به.

الحوزة العلميّة مؤسسة تتسم بالشمول والسعة لطلبتها ومجتهديها ومقلديهم، بل أن واجباتهم تتعدى ذلك لتشمل المعرضين عنها، كما أنها لا تتحدد بإطار واحد فحسب، بل لها عدة أطر تختار وتعيّن الإطار المناسب للحدث المناسب في الوقت المناسب حسب ظروف المرحلة، وحسب تكليفها الشرعي تجاه الأحداث، وفي بعض الأحيان تتأطر بجميع الأطر لو سُنحت لها الفرصة وكانت لديها القابلية، فتراها من ناحية مؤسسة اجتماعية تتعامل مع الأفراد وبصيف أخلاقية الغاية منها خلق شخصية إنسانية مؤمنة، ومن ناحية أخرى تجدها تخط للإنسان طريقاً يوصله إلى ربّه في عباداته ومعاملاته فهي بمثابة الضوء الكاشف عن حلال الله وحرامه، ومن ناحية ثالثة تراها نظاماً اقتصادياً ومالياً متيناً، تجري فيها عمليات القبض والبسط بكل مستوياتها، وحسب ما يقتضيه الموقف من إنفاق في حين أو قبض واستلام في حين آخر، ومن ناحية رابعة فهي مؤسسة ثقافية وجهازاً إعلامياً بإصداراتها ونشراتها وما يصدح به خطبائها المنتمون إليها والواعون.

والحوزة العلميّة من الناحية الهيكلية والتنظيمية والإدارية فهي تتألف من مدارس عديدة لسكنى الطلبة، يختص كل طالب غالباً بغرفة يستخدمها لمعيشته ومبنيته ومذاكرة دروسه وتحضيرها لوحده أو مع زملائه، ويوجد في كل مدرسة مسجد ومكتبة عامة، كما تشتمل الحوزة العلميّة بالإضافة إلى المدارس على جوامع عديدة لاحتواء حلقات الدرس نهائياً، حيث يتصدى فيها كل من يجد في نفسه الكفاءة بتدريس مادة معينة ويجلس في زاوية من المسجد ويعلن عن درسه لطلاب أو أكثر فيستقطب الطلبة الآخرين فمن رأى منهم أن الدرس ينفعه استمر في الحلقة ومن رأى عدم الفائدة لعدم مناسبة الأسلوب أو غيرها قصد حلقة أخرى، وهكذا فإن الأمر مناط بالأستاذ والطالب، كما تشتمل الحوزة على برائيات (مكاتب) المجتهدين وفيها يتم الإشراف على المدارس والجوامع من الناحية الإدارية والتنظيمية والمالية وما يتعلق بها من إجراء الترميمات التي تحتاجها المدارس والجوامع، وكذلك من ناحية تعيين المتولين الشرعيين لهذه المدارس، ومن وظائف البرائيات أيضاً توزيع الرواتب في نهاية كل شهر

بالإضافة إلى المساعدات الثابتة وغير الثابتة والتابعة لحاجة الطالب نفسه، ويقوم بالإشراف على التوزيع عدد من ثقات المرجع الديني (المجتهد) القيم على البراني (المكتب) وبالتالي الحوزة كما تتبنى البرانيات مسألة توزيع بعض المطبوعات على روادها أو بيعها عليهم بسعر كلفتها.

أما المرجع الديني فهو يقسم وقته بين دروسه التي يلقيها على طلبة البحث الخارج وهي المرحلة الثالثة^(١٤٣) والأخيرة قيل نيل درجة الاجتهاد - وبين الجلوس في البراني في وقت محدد لاستقبال الزائرين وسماع مسائلهم الإبتلائية والإجابة عليها، وقسم من مراجع الدين يقيمون صلاة الجماعة في مرقف أمير المؤمنين ((عليه السلام)) أو أحد الجوامع الحافة بمرقده ((عليه السلام))^(١٤٤).

ومن هذا الوصف الإجمالي يبدو أن القارئ قد أحاط علماً بنظام الحوزة من جهة وعلاقة المسجد مع هذا النظام من جهة أخرى حيث أنه مكان صلاة الطلبة في مدارسهم ومكان أخذهم الدروس في اليوم التالي ونافذة المرجع على مقلديه وطلبته سواء في البحث الخارج أو في صلاة الجماعة.

وتوجد في هذا النظام عدة مميزات إيجابية نذكرها، كما توجد أمور سلبية تعرقل مسيرة الحوزة العلمية بعضها مفروض على الحوزة وبعضها باختيارها لكنه أخذ في طريقه إلى الزوال إن شاء الله تعالى بفضل الغياري من أبنائها ومخلصيها.

مواكبة الزمن

وكمقدمة تسبق عرض^(١٤٥) الإيجابيات والسلبيات نذكر أن العامل الأساسي الذي يعتمد عليه الأداء الأمثل للوظيفة الملقاة على عاتق الحوزة العلمية هو (مواكبة الزمن)، فلو نظرنا إلى الوظائف الأربع المذكورة في فقرة سابقة من هذا الفصل نجد أن المقوم الأساسي لها هو كيفية أدائها وإكمالها، وبأي أسلوب يكون ذلك الأداء؟، فمثلاً نجد أن أسلوب الرد على ما يسمى بـ(الدهريين) في سالف الأزمان يختلف عن أسلوب الرد على ما يسمى بـ(الماديين والديالكتيكيين)، هذا من ناحية جوهر الرد، كما يختلف أيضاً في طريقة إيصال ذلك الرد ووسيلة

(١٤٣) والمرحلة الأولى تسمى المقدمات والثانية تسمى السطوح.
(١٤٤) على أن ذلك قد أنحسر عمليا في أيامنا هذه لظروف انتقالية مؤقتة إن شاء الله.
(١٤٥) وما هذا العرض إلا تمهيدا لتقبل بعض البدائل في نظام الحوزة العلمية الشريفة والتي نذكرها في الفصل الخامس.

نشره، ففي بعض الأزمان يكفي إطلاق كلمة فتتناقلها الألسن فيتحقق المقصود من الكلمة حالاً، وفي أزمان أخرى لا ينفع مجرد إطلاقها، لأن المقصود بها تعلم درس من سابقتها فجعل يقطع قنوات الاتصال وسلسلة انتقال تلك الكلمة، فيصبح مجرد الإطلاق لا يدعو أن تدور الكلمة في حدود ضيقة ثم تموت، ويكون هذا القطع منه بتشويه سمعة المرجع مرة أو تعطيل دور وسائل الاتصال مع المجتمع — كما مر عليك في فصل سابق من تفرغ الجوامع من محتواها وما شابه^(١٤٦) — مرة أخرى، ومن هذا كله نريد الوصول إلى ضرورة مواكبة الزمن وعدم الإبقاء على الموروث من الأساليب، لأن هذا فيه تقصير في أداء الوظائف، إن لم يكن فيه إنهاء للحوزة وتعطيل لدورها، ومن ثم فلا تعدو أن تكون الحوزة مجرد مؤسسة (استهلاكية) وليست (إنتاجية) وهادية وبيانية.

فالسلبيات التي أوعدناكم بعرضها تكمن بعدم مواكبة الزمن أحياناً، ولا ننكر هنا أن في ذلك إيجابيات أحياناً أخرى لأن فيه تروي وتفكر في جدوى هذا الأسلوب أو النظام وعدم جدواه، وما إلى ذلك من المحافظة على كيان الحوزة الذي سلمه لنا السلف وضمان عدم تسلل عناصر غير آمنة أو غير واعية إلى الجهاز الإداري مما يربك المرجعية ويوقعها في مشاكل مع جهات عدة، حيث أن تطوير أسلوب الاتصال أو إبدال النافذة المظلة على المجتمع يتطلب توسيع دائرة المنتسبين والتوسيع بحد ذاته يفرز النتائج المذكورة قبل قليل والتي اعتبرناها من إيجابيات عدم مواكبة الزمن، فيكون غير المواكبين من هذه الناحية بريء الذمة أمام الله سبحانه وتعالى جزاهم الله خيراً، لكن نلفت النظر أيضاً إلى السلبيات المرافقة لتلك الإيجابيات ونرجح بينهما حسب قواعد الترجيح المعروفة. لنصل إلى النتيجة.

والسلبيات هي :

أولاً: صعوبة الانتماء إلى الحوزة العلمية من قبل أبناء المجتمع.

ثانياً : الغموض الذي يكتنف سير الدراسة في الحوزة العلمية بالنسبة إلى منتسبيها فضلاً عن هو خارجها.

ثالثاً : عدم معرفة بداية العام الدراسي للحوزة ليتم التسجيل فيه مع بدايته.

رابعاً : عدم الإعلان عن موعد التقديم أو أي أمر آخر يهم المجتمع في أحد البرانيات

فضلاً عن التفكير في وسيلة لإيصال هذا الإعلان إلى المجتمع عن طريق المساجد المنتشرة.

خامساً : صعوبة الدخول إلى البرانيات لأنها ليست مفتوحة دامتاً أو يكون مكانها مجهولاً لكثير من المؤمنين.

ولا ينبغي الاستتراد بذكر باقي السلبيات لأن بعضها لا علاقة له بالمسجد وبعضها خارج اختيار أبناء الحوزة فهو ليس سلبية بالمعنى الحقيقي للسلب.

أما ما ذكرنا من سلبيات فسبيل حله هو تفعيل دور المعمم في المجتمع وتفعيل دور المسجد^(١٤٧) كأداة — بيد المعمم أو الوكيل أو إمام الجماعة — وجعله وسيلة هداية ونفع للمجتمع وبذلك ستكون الحوزة العلمية داخلية في كل بيت من بيوت المجتمع وصوتها يصل إلى كل حي وقرية وبهذا سترتفع السلبيات المذكورة، أما الإيجابيات التي ذكرناها والتي هي حجة من لم يواكب الزمن بسرعة فمن الممكن ان يأخذها المواكبون بنظر الاعتبار ويحاولوا تجاوزها ويضمنوا عدم تسلل تلك العناصر غير الآمنة وغير الواعية إلى الجهاز المرجعي، وبهذا تكون مواكبة الزمن هي الراجعة بحسب قواعد الترجيح المعروفة حفظاً للنظام ومراعاة للمصلحة العامة، ولكن هذا معتمد على تحقق شروط في إمام الجماعة وفي أساليب عمله نذكرها في الفقرة الآتية :

دور إمام الجماعة أو المعمم في المجتمع

بعد أن عرفنا أن نافذة الحوزة العلمية على المجتمع هي المسجد، وجب أن نعرف أن دور المسجد في المجتمع معتمد على إمام الجماعة فيه، فحتى لا يكون المسجد معلوم الدور في المجتمع أو مهجوراً لأن إمامه مثلاً يقتصر على أداء صلاة الجماعة فيه فحسب لذا يجب أن يتحلّى إمام الجماعة بمجموعة من الصفات التي تهيئه لأداء المهام والمسؤوليات التي هي بالتالي فوائد المسجد التي تقدم نكرها فيكون الكلام هنا في جهتين :

الجهة الأولى : مواصفات إمام الجماعة :

يجب على إمام الجماعة أن ينسجم مع ما هو معاش من ظروف وحالات، لا على حساب دينه طبعاً لكن عليه أن يتصرف وفق ما تقتضيه المصلحة العامة، وليس صحيحاً أن يقف مكتوف الأيدي متحججاً بالظروف الصعبة، بل عليه أن يحاول بالاستعانة بالله سبحانه خلق ظرف مناسب لليعمل من خلال العلاقات الاجتماعية مع أهل المنطقة أو وجهاتها أو جهات أخرى

(١٤٧) ومما يذكر كشاهد على هذا، فتح مكاتب تمثل المرجعية الدينية في النجف الأشرف في المساجد والحسينيات في عموم العراق، وأثر تلك الخطوة في تفعيل دور الوكيل والمسجد معاً.

لكي لا يكون مرفوضاً أساساً، ثم بعد ذلك يفيد الناس بأمر آخرى لا تتعارض في البداية مع مصالح تلك الجهات، وبعد ذلك يمكن له إقناع تلك الجهات أو الوجهاء بوجهة نظره المتعارضة معهم وكسبهم لناحيته فيعم الخير والنفع للمجتمع كله وقد قيل : (لا تكن ليناً فتعصر ولا يابساً فتكسر) ثم أن إمام الجماعة يجب أن يتحلى بأمر آخرى لكي يكون ناجحاً في مهمته وهي :
أولاً : يجب أن يكون ذا وعي اجتماعي بحيث تكون له نظرة ثاقبة تنفذ إلى طبقات المجتمع، لتحلل الشخصيات والسلوكيات والأفعال، ويبني على تلك التحليلات بالاستعانة بالأفراد الجيدين والأخذ بيد الآخرين.

ثانياً : أن يكون ذا وعي تاريخي لحركة المجتمعات والأمم ومطلعاً على تأريخ أهل البيت ((عليهم السلام)) وبهذا يكون مستوعباً للماضي ومعبراً عنه بصيغة عصرية منسجمة مع مستوى أفراد مجتمعه.

ثالثاً : أن يكون طيب النفس، عظيم الخلق، دائم الورع، صاحب المبادرة في كل خير وبر، وإلا لا يستطيع أن ينفع الناس لأن (فاقد الشيء لا يعطيه)، إذن : (فلا بد من تهذيب النفس والسعي إلى تكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل وتوطيد الصلة بالله تعالى ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة ويكون ذلك من قبل المتصدّي لأية مسؤولية اجتماعية لأن المنصب والجاه والامتيازات الأخرى التي يتمتع بها علماء الدين من أقوى فحوخ الشيطان وأصعب شركاه وأن النفس الأمارة بالسوء تكون كامنة وخامدة باتجاه ما فإذا حصل ما يثيرها هاجت وأودت بصاحبها . . . ولنا في رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) أسوة حسنة وهو أكمل الخلق فقد جاهد نفسه وتعبد لله سبحانه رداً طويلاً برعاية الله سبحانه حتى بعث بالنبوة، ففي حديث عن الصادق ((عليه السلام)) : ((أن الله عزّ وجلّ أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١٤٨) ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده فقال عزّ وجلّ ﴿آتَاكُمْ الرَّسُولُ فُخْرَهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١٤٩)))^(١٥٠).

رابعاً : أن يكون متوجهاً توجهاً علمياً صحيحاً، أي عليه أن يكون من ناحية الدروس الحوزوية قد أكمل دورة فقهية كاملة حتى (يستطيع التمييز بين فروع المسائل وتطبيق بعضها

(١٤٨) سورة القلم : ٤

(١٤٩) سورة الحشرة : ٧

(١٥٠) الشيخ محمد اليعقوبي : وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة العلمية الشريفة ص ١١ ، ١٤٢٠

النجف الأشرف.

على بعض)، أما من ناحية العلوم والمعارف الإسلامية غير الحوزوية فيجب عليه أن يكون مثقفاً ثقافة عالية مطلعاً على أخص ما يمكن الاطلاع عليه ليكون مستوعباً لكل فئات المجتمع وطبقاته الثقافية.

خامساً : أن يكون مرتبطاً بالحوزة ارتباطاً صحيحاً لا أن يدور في فلك ذاته أو فلك من لا يمثل الحوزة العلمية الشريفة.

ولو لا هذه المميزات لن يتسنى له أداء دوره المطلوب منه وبذلك يضع دور المسجد ويصبح خراباً لأن مرتاديه لن يحسوا بالفائدة المتوخاة منه كما هو مألوف في غيره من الجوامع والمساجد.

الجهة الثانية : مسؤوليات إمام الجماعة في المسجد :

إن مسؤوليات إمام الجماعة لا تقف على جانب واحد فحسب، بل أواره شاملة ومسؤولياته غير منحصرة بنمط محدد لأنه يمثل الإسلام والإسلام دين الحياة.

ويمكن تقصي مسؤوليات إمام الجماعة وفق عدة جوانب :

أولاً : الجانب الديني : وفيه :

١ - إقامة صلاة الجماعة.

٢ - الإجابة على الأسئلة والاستفسارات الفقهية وحل الشبهات العقائدية التي تواجه

المذهب على الدوام.

٣ - إحياء الشعائر الدينية والحث على إقامتها وخصوصاً مناسبات عاشوراء والعزاء

الحسيني وتقديم المساعدة المادية والمعنوية لها.

٤ - ربط المجتمع بخالقه عن طريق تكثير الدروس والمحاضرات في بيان علاقة العبد

بربه، وعليه أن يعتمد على فطنته وحسه ووعيه في إقامة تلك الدروس وحسب الظروف.

٥ - ربط المجتمع بالحوزة العلمية وتركيز مفهوم التقليد في فروع الدين عند

المجتمع.

ثانياً : الجانب الاجتماعي : وفيه :

١ - مد الصلات والروابط الاجتماعية خارج المسجد وذلك عن طريق مشاركة الناس

أفراحهم وأحزانهم وكل مناسبة لهم ويكون السباق إلى ذلك.

٢ - حل المشاكل الاجتماعية وعلى المستويين الفردي والجماعي، بطريقة مباشرة أو

غير مباشرة عن طريق حث الوجهاء والمتدينين لحل المشاكل بين الناس.

٣ - التعامل مع أفراد المجتمع وفقاً لمستوياتهم واستحقاقاتهم فلا يبخس حقاً لأحد.

٤ - معالجة الظواهر السلبية التي تسود المجتمع بالطرق الناجحة والمؤثرة، وكل ذلك

يعتمد على مدى إدراكه ووعيه وحسه الاجتماعي، وتطبيقه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ - تعزيز الروابط الأخوية بين أفراد مجتمعه، ويكون ذلك - مثلاً - عن طريق

اشتراكهم في بعض الأعمال أو النشاطات وكل حسب استعداده وطاقته.

٦ - السعي في التوفيق بين المؤمنين والمؤمنات من غير المتزوجين لأجل الزواج.

ثالثاً: الجانب الاقتصادي : وفيه :

١ - إدارة شؤون الأموال والحقوق الشرعية - بعد أخذ الإذن من الحوزة العلميّة

الشريفة.

٢ - رعاية الطبقات الفقيرة والمعوزة بما يسمح له من التصرف في قسم من الحقوق

الشرعية أو عن طريق إنشاء صندوق خيري لجمع التبرعات، والصندوق إما أن يكون ثابتاً في

أحد جدران المسجد أو متحركاً بين صفوف المصلين بعد الصلاة.

٣ - البحث عن فرص عمل عند بعض أرباب المهن والأعمال ممن يرتادون المساجد،

لانتشال مجموعة من الشباب العاطل والمحتاج.

٤ - السعي في إجراء عقود القرض والدين لإنجاز أعمال بعض المحتاجين مستغلاً

وجاهته وتأثيره في المجتمع.

٥ - التنسيق مع الأطباء والصيدالة المؤمنين وتوفير سبل العلاج السهلة للمرضى

المعوزين.

رابعاً: الجانب الثقافي : وفيه :

١ - إنشاء مكتبة خاصة بالمسجد، وفتح باب التبرعات بالكتب لإغناء هذه المكتبة

منتقياً عناوين الكتب التي تبني الإنسان وتكون شخصيته الدينية والإيمانية متجنباً كل عنوان

يثير حفيظة ومشاعر أي جهة أخرى.

٢ - استثمار بعض المناسبات الإسلامية وغيرها مما يراها مناسبة لإقامة المسابقات

في شتى فروع المعارف والعلوم، وإلقاء الخطب والمواعظ.

٣ - إجراء دورات فقهية في أحكام الرسالة العملية للمصلين.

٤ - القيام بفتح دورات تحفيظ القرآن وتلاوته والتركيز على الأطفال والأحداث والشباب. هذا وعلى إمام الجماعة أن يركز علاقته مع الشباب لأنهم الأرض الصالحة لزرع الأفكار الجديدة البناءة.

وآخر ما يمكن أن يقال تحت عنوان مسؤوليات إمام الجماعة أو المعمم، هو أن هذه المسؤوليات تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى آخر، فلا يمكن حصرها أو استقصاؤها جميعاً في نقاط، لأن بعض مفردات المسؤوليات تملئها ظروف المنطقة أو المرحلة الزمانية، لذا فهي خاضعة لشخصية الوكيل ومقوماته الفكرية والإيمانية والثقافية.

لذا فأهمية الحوزة العلمية وأداء وظائفها يعتمد كلياً على أداء دور إمام الجماعة لدوره في المسجد وتفعيل دور المسجد، فأصبح المسجد كما قلنا وسيلة لا غنى عنها من وسائل المرجعية الرسالية الصالحة، فكلما تعددت المساجد كان دور الحوزة أوسع وكلما تعدد المجتهدون والوكلاء كان المذهب أكثر عزاً، لكن مما يلاحظ أن بعض المساجد غير مرتبطة بإمام جماعة وبالتالي فهي غير مرتبطة بالحوزة، لذا وجب على المجتمع من جهة والمعمم من جهة أخرى السعي إلى إشغال جميع تلك المساجد الفارغة^(١٥١).

(١٥١) المقصود بالمساجد الفارغة هي تلك المساجد الغير مؤدية لدورها الحقيقي المنتسب عن ارتباطها بإمام جماعة وكييل عن الحوزة العلمية وبالتالي فهي غير مؤدية لوظائف الحوزة فهي أنن فارغة أي غير عامرة.

فائدة المسجد في تسليم مهام المرجعية

وكخاتمة علاقة المسجد بالحوزة العلمية، نذكر هنا فائدة وذلك فيما لو اتخذت المرجعية الشيعية لنفسها مكتباً خاصاً منسوباً للمرجعية لا لشخص المرجع فلو انتهت مرجعيته بوفاته فسوف يخلفه المرجع الجديد بدون الاحتياج إلى زمن انتقالي كبير وما يرافقه من فراغ قيادي مؤقت، إذ القاعدة جاهزة والمكتب الذي يمثل المرجعية جاهز، فيحصل تسلم لمهام المرجعية بنفس مكان المرجعية السابقة وذلك مما يضمن عدم ارتباك الناس في كل فترة تلي موت مجتهد وتسلم مجتهد آخر فيختار الناس أيّ البرانيات يقصدون مجتهد يقلدون، أما لو كان مكان المرجعية ثابتاً فهذا يعني أن المرجع الذي يتبوؤه هو المؤهل علمياً واجتماعياً وروحياً لقيادة الناس، إذ أن المرجع السابق سيعهد لعملية التسليم تلك أو أن كل الأمر سيوكل إلى طلبه البحث الخارج المخلصين ليحددوا من بينهم أو من أساتذتهم من هو أهل لتسلم مهام المرجعية وفي نفس مكان المرجعية السابقة، فإذا كان ذلك المكان السابق هو المسجد فسوف يتحقق الهدف المطلوب وهو سرعة تسلم مهام المرجعية بالإضافة إلى فوائد أخرى سوف تحققها المرجعية ما كانت لتحققها بصورة تامة وجلية وسريعة فيما لو كان المكان العام المقصود غير المسجد، وأسباب ترجيح المسجد كمكان للمرجعية بعد الاتفاق على أن المكان العام لها خير من المكان الخاص هي الوجوه المحتملة في إعطاء معاني حديث الرسول ((صلى الله عليه وآله)): ((المساجد مجالس الأنبياء)) في الفقرة القادمة.

المساجد مجالس الأنبياء

لا يخفى عليكم بعد أن اطلعتم على ما تقدم من البحث عمق ومدى اهتمام القيادة الدينية وخاصة الرسول ((صلى الله عليه وآله)) بتأسيس المساجد وجعلها موضع اهتمام الناس وجعلها مقراً للقيادة، حتى أن الأنبياء السابقين ((صلوات الله عليهم)) كانوا قد اتخذوا المساجد مجالس لهم، ويدل على ذلك قول الرسول ((صلى الله عليه وآله)) : ((المساجد مجالس الأنبياء)) ، فلو ذكرنا على سبيل الاحتمال والأطروحة عدداً من الفوائد الناتجة من كون المساجد مجالساً للأنبياء دون غيرها، فيمكن أن نتصور أيضاً فائدة اتخاذ المرجعية المسجد مكتبا لها، لأن ((العلماء ورثة الأنبياء))^(١٥٢).

الأطروحات المحتملة

الأولى : الأنبياء ((صلوات الله عليهم)) باعتبارهم يمثلون جهة السماء، ويمثلون الله سبحانه وتعالى فمن الطبيعي أن يكون مقر جلوسهم هو بيت الله سبحانه، لأن الذي بين أيديهم هو أمر الله، فيجب أن يطرحونه في بيت الله لا في بيوتهم^(١٥٣)، وقد سار العقلاء والعرف العام على هذا المعنى، فالموكل عن شخص معين مثلاً أو النائب عنه يدير أمور ذلك الشخص في مكتب الشخص نفسه لا في مكان يخص الوكيل أو النائب.

الثانية : جلوس الأنبياء ((صلوات الله عليهم)) وكل من يمثل الله سبحانه وتعالى في المسجد يعطي لجلوسهم صفة العمومية والشمولية لكل أمر ، لأن كل أمر من شأنه أن يرتبط بالله سبحانه، فلا يحصل للسائل المرتاد إلى المسجد شبهة عدم شموله بالجواب، أو عدم الاعتناء بأمره ، وربما تحصل (الشبهة) فيما لو كان مكان جلوس ذلك الممثل عن الله سبحانه في مكان آخر خاص وليس المسجد.

الثالثة : إن سلوك الشخص المرتاد إلى المسجد تتحكم به آداب ومستحبات دخول المسجد، فطالما هو موجود في ذلك المكان فهو مرتبط بالله سبحانه وتعالى كأكثر ما يكون ارتباطه في أمكنة أخرى خاصة، وهذا سيؤثر بصورة إيجابية على ما سيطرح من أسئلة منه

(١٥٢) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢، ص ٢٨٥ وابن ماجه تحت رقم ٢٢٣، وروضة الواعظين، ص ١٢ (١٥٣) فلو فسنا ذلك على المرجعية فيكون الكلام على فرض أن البراني هو بيت لشخص المرجع والدليل أن الغالب هو أنه يذهب أرتا إلى عائلة المرجع بعد موته، إلا القليل من أبناء المراجع من الذين أمتحن الله قلوبهم للإيمان، والذين استمروا يفكرون بالمصلحة العامة بعد موت آباءهم ((قدس أسرارهم جميعاً)).

على الجهة الممثلة للسماء.

الرابعة : من المفروض أن المتواجد في المسجد يكون مستحضراً لشيء طوال فترة تواجده في المسجد وهذا الشيء هو الهدف من بناء المسجد ألا وهو أن يعم الخير والنفع كل الناس، لذا فإن هذا سيؤثر على ما يدور في ذلك المكان وبهذا تقل فرصة حياكة المؤامرات والدسائس ضد جهات معينة تحت ذريعة معينة كعنوان المصلحة العامة وما شابه.

الخامسة : إن وجود الجامع وسط المدينة أو القرية كما هو المفروض، سيؤدي إلى تساوي فرصة الجميع للوصول إلى المسجد والاستفادة ممن سيتواجد في المسجد، وهذه الأطروحة ترجح كفة المسجد على المكان من الناحية الجغرافية المتوفرة ذاتياً في الجامع بينما هي ممكن توفرها عرضاً في المكان الخاص غير المسجد.

ومن خلال هذه الأطروحات الخمس نفهم ولو احتمالاً سر اتخاذ الأنبياء ((صلوات الله عليهم)) المساجد مجالساً لهم، ونفهم بالملازمة فائدة اتخاذ المرجعية المسجد مكتباً لها فضلاً عما ذكرنا من سهولة تسلم مهام المرجعية ووضوح المرجع الذي يخلف المرجع المتوفى بدلالة المكان عليه، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الخطوة تعكس مدى التكتاف والألفة بين أفراد الحوزة وأبناء المذهب الواحد، كما أنها أيضاً أحد أساليب مواكبة الزمن لأنها ستكون سبباً في تخطي كل السلبات التي أشرنا إليها في فقرة (مواكبة الزمن)، مما يحفظ للدين والمذهب غضاظته وطرأوته وتجدهه مع الزمن ويجعله صالحاً لقيادة الحياة، وربما يمكن أن نفهم الأحاديث التي تصف زمان خروج الإمام ((عليه السلام)) وأنه سوف يأتي بدين جديد، هو أن التجديد سيكون في الأسلوب لا في جوهر الدين، لكنه سيخالف ارتكازات الناس وحبهم للموروث والأثري والمتحجر لذا سوف يكون جديداً عليهم.

الفصل السادس أحكام المساجد وآدابها

مقدمة

بعد أن عرفنا في الفصول السابقة أهمية المسجد في الإسلام لكونه أحد المؤسسات الاجتماعية الفعالة فيه وعرفنا فوائده الاجتماعية والدينية، وعرفنا تكاليفنا تجاهه وكيفية توظيفه كأداة مواكبة للزمن، بقي أن نعرف في هذا الفصل اللمسات الأخيرة لهذه الأداة الفعالة في تطوير الحياة الإسلامية بكل صورها، وهذه اللمسات هي الأفعال والتصرفات داخل المسجد من واجبات ومستحبات ومكروهات ومحرمات، لتكتمل الصورة الناصعة لدى القارئ في معرفة كل شيء عن المساجد في الإسلام، ويحق له عندئذ أن يفخر بهذا التشريع العظيم المتكامل الذي فيه نفعه وخيره وتكامله إن شاء الله تعالى، ثم نختم الفصل و الكتاب إن شاء الله تعالى بحوارية فقهيه حول الاسئلة الابتلائية وبعض الأفكار الأخرى والتي أتحنفنا بها سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد اليعقوبي ((أدامه الله)) لتكون مكملة للبحث ومظهره له بالصورة التي يعم النفع بها إن شاء الله، على أن سماحة الشيخ قد واكب الفكرة^(١٥٤) منذ ولادتها، وما زال يغدق عليها بتوجيهاته وملاحظاته، ويكلف هذا وذاك من طلبته بالكتابة والبحث إلى أن ظهرت بالصورة التي تراها . . نسأل الله سبحانه أن يمنّ علينا بطول بقائه ويمنّ عليه وعلينا برضاه إنه وليّ النعم.

(١٥٤) فكرة البحث والتي هي تفعيل دور المسجد وإبراز ريادته في حياة المسلمين، لتكون في حلّ من شكواه يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

الواجبات والمحرمات

ذكر الفقهاء (أعلى الله مقامهم)، جملة من أحكام المساجد في رسالتهم العملية ومن جملتها، عدم جواز نقش المساجد بالصور نوات الأرواح كالإنسان والحيوان لأن هذا من التجسيم المحرم، والمسجد محل للعبادة والزهادة والتوجه والتضرع إلى الله، ولا يجوز كذلك إخراج الحصى والرمل والتراب ونحوه من أجزاء المسجد، لأنه ورد في خبر وهب بن وهب عن الإمام الصادق ((عليه السلام)) عن أبيه ((عليه السلام)): ((إذا أخرج أحدكم الحصى من المسجد فليردها مكانها أو في مسجد آخر، فإنها تسبج))^(١٥٥)، لكن عندما يكون المسجد في حالة بناء أو ترميم فيجوز إخراج التراب والحصى والحجارة الزائدة، كما يجوز إخراج التراب المجتمع عند الكنس.

ومن المهم للقارئ أن يعرف أن جميع الآلات وأفرشة المسجد هي وقف على المسجدية فلا يجوز إخراجها أو بيعها أو التصرف بها تصرفاً ناقلاً لها إلى مكان آخر أو متلفاً لها، كما لا يجوز أن يدخل المسجد في ملك بائيه أو ملك أي شخص آخر مهما كان مركزه الاجتماعي أو الديني.

ومن الأحكام الأخرى التي وضعها الشارع المقدس والتي تصب في تركيز قدسية المسجد في حياة المسلمين، هي حرمة تنجس المسجد أرضاً وفرشاً وبناءً، وليس هذا فقط بل يجب المبادرة إلى إزالة النجاسة، حتى لو تعارضت تلك الإزالة مع الصلاة نفسها فيجب تقديم الإزالة على الصلاة إلا في حالة ضيق الوقت، هذا بالنسبة للنجاسات المتعدية أما النجاسات غير المتعدية فذلك لا يجوز إدخالها إلى المسجد إذا كانت تتضمن صورة الهتك للمسجد كإدخال الكلب أو الخنزير أو قنينة خمر والعياذ بالله. فيجب في كل هذا إزالة تلك النجاسة وإخراجها من المسجد، ويجب إخبار الغير في حالة عدم التمكن من الإخراج.

ومن الأمور التي يجب تجنبها وقد حرمها الشارع حفظاً لقدسية المسجد هي دخول المجنب والحائض إلى المسجد، ويحرم هذا الدخول حتى لو كان لوضع شيء في المسجد أو أخذ شيء منه، كما لا يجوز دفن الميت في المسجد حتى لو كان مأموناً من التلويث.

المستحبات والمكروهات

(١٥٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٣، باب (٢٦) من أبواب أحكام المساجد، ح ٤.

ذكر الفقهاء (أعلى الله مقامهم) جملة من المستحبات والمكروهات التي ينتفع القارئ

بذكرها إن شاء الله تعالى حتى يراعي تطبيقها أثناء تواجده في المساجد، فالمستحبات :

١ - تستحب الصلاة في المساجد وأفضلها المسجد الحرام، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة ثم مسجد النبي ((صلى الله عليه وآله)) والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف صلاة ثم مسجد الكوفة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما تعدل ألف صلاة ثم المسجد الجامع والصلاة فيه بمئة صلاة، ثم مسجد القبيلة والصلاة فيه تعدل خمساً وعشرين صلاة، ثم مسجد السوق والصلاة فيه تعدل اثنتي عشرة صلاة.

٢ - يستحب التردد إلى المساجد ففي الخبر ((مَنْ مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات)).

٣ - يستحب سبق الناس في الدخول إلى المساجد والتأخر عنهم في الخروج منها.

٤ - يستحب التطيب ولبس الثياب الفاخرة عند التوجه إلى المسجد، كما يستحب الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى.

٥ - يستحب الإسراع في المسجد وجعله مضيئاً بأية وسيلة من وسائل الإنارة.

٦ - يستحب كنس المسجد وجعل المطهرة - وهو مكان الوضوء - على بابه.

٧ - تستحب صلاة تحية المسجد بعد دخوله وهي ركعتان ويجزي عنها أي صلاة واجبة أو مستحبة أخرى.

المكروهات

وردت الكثير من الروايات التي فهم منها الفقهاء، كراهة بعض الأفعال المتعلقة

بالمساجد ككراهة تعلية جدران المسجد، ورفع منارته عن السطح بدون مبرر عقلي أو شرعي،

وكراهة نقش المساجد ببعض النقوش التي تعكس الترف والبذخ، كما يكره أن تكون المحاريب داخلة في المسجد، وإنما تكون ضمن جدار المسجد وخارجه كما يكره النخامة، والنوم في المسجد إلا لضرورة. ويكره أيضاً رفع الصوت في المسجد إلا في الدعاء والأذان وقراءة القرآن، ويكره قراءة الأشعار في غير المواعظ، ويكره أيضاً التكلم في أمور الدنيا والبيع والشراء وقتل الثمّل وأكل البصل والثوم عند إرادة الدخول إلى المسجد، ويكره تمكين الأطفال والمجانين من الدخول وعمل الصناعات اليدوية وكشف العورة في المسجد - مع أمان الناظر وإلا فمع رؤية الناظر لها فهي حرام - ويكره أيضاً كشف السرة والفخذ والركبة وإخراج الريح. ومن شاء المزيد فليراجع كتاب وسائل الشيعة الجزء الثالث، أبواب أحكام المساجد وغيرها من كتب الحديث.

توسيع المساجد

لو تطلب الأمر بعد فترة من بناء المسجد توسيعه، فهل يصبح المكان الجديد مسجداً أيضاً؟ وهل كل المساجد المعروفة هي قابلة للتوسيع بحيث يصبح المكان الجديد المنضم للمسجد مشمولاً بأحكام المسجدية؟

أجاب الفقهاء على هذه الأسئلة جميعاً وقالوا بكلمة واحدة تقريباً: إن كل المساجد قابلة للتوسيع ويلحق المكان الجديد أحكام المسجدية العامة والمنكورة فيما تقدم من الفصل السادس من هذا الكتاب، أما الأحكام المسجدية الخاصة ببعض المساجد كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة والتي منها جواز التخيير بين القصر والتمام للمسافر وحرمة الاجتياز للمجنب والحائض في المسجدين الحرام والنبوي فلا تلحق المكان الجديد الذي حصل فيه التوسيع.

أرض المسجد

إذا أريد بناء مسجد على أرض مستحقة للخمس أو مجهولة المالك أو مستحقة لحق

من الحقوق الشرعية أو مغبوبة فإنه لا يترتب على ذلك البناء آثار المسجدية، ولكن يجوز الرجوع في الأرض المستحقة للخمس أو مجهولة المالك إلى الحاكم الشرعي لاستحصال الإذن باتخاذها مسجداً وتترتب عليها آثار المسجدية وبهذا يكون ارتباط المسجد بالحوزة العلمية الشريفة منذ اللحظات الأولى للبناء ويبقى ارتباطه فيما بعد البناء فيكون بذلك قد بُنيَ على التقوى لا أن بانيه يعمل المستحبات - لغرض دنيوي - وهو تارك للواجبات والعياذ بالله.

الحوارية الفقهية

وكما وعدنا القارئ الكريم ستكون هذه الحوارية التي يادرنا بأجوبتها سماحة الشيخ محمد اليعقوبي ((أدامه الله)) بشيء من البسط والتفصيل لتعم الفائدة إن شاء الله ولتظهر وتبرز بعض فقرات البحث بشيء من الوضوح وتتركز في ذهن القارئ فيتحقق الهدف الذي أعد من أجله هذا الكتاب ألا وهو الحضور في المساجد :

﴿مسألة ١﴾ هل الحضور في المساجد لأداء الصلوات جماعة والمشاركة في الشعائر

الدينية كالاستماع إلى المحاضرات وحلقات الدرس واجب؟

بسمه تعالى : يمكن أن يكون الجواب على أكثر من مستوى :

الأول : الأخلاقي، وهو بهذا المعنى واجب أكيداً، لأن الحضور في المساجد يعطي

فرصة لتحقيق كثير من الطاعات :

١ - ثواب المشي إلى المساجد، ففي حديث ((مَنْ مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الأرضين السابعة))^(١٥٦)، وفي حديث ((ما عبَدَ الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيته))^(١٥٧)،

٢ - فضل صلاة الجماعة خصوصاً وأنها تؤدى في وقت الفضيلة فيحرز بذلك فضل المبادرة إلى الصلاة في أول الوقت، ففي الحديث عن الباقر ((عليه السلام)) ((فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل فرداً خمس وعشرون درجة في الجنة))^(١٥٨)، وغيرها من الأحاديث راجعها ، وفي حديث آخر يقول ((مَنْ تركها - أي صلاة الجماعة - رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له)) ، ويصل الاهتمام بها إلى رجلاً أعمى أتاه ((صلى الله عليه وآله)) فقال : يا رسول الله أنا ضيرير البصر وربما اسمع النداء ولا أجد مَنْ يقودني إلى الجماعة والصلاة معك فقال له النبي ((صلى الله عليه وآله)) : ((شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً وأحضر الجماعة)).

٣ - ثواب إعمار المساجد بالصلاة فيها والتواجد فيها للذكر والدعاء ولقاء المؤمنين

(١٥٦) الوسائل ، ابواب احكام المساجد باب ٤، ح ١-٢، ج ٣، ص ٨٣

(١٥٧) نفس المصدر

(١٥٨) الوسائل ، ابواب صلاة الجماعة، باب ١، ٢ من ج ٥ ص ٣٧٠ وما بعدها

وتبادل الأحاديث النافعة وسماع الموعظة، ففي حديث عن الصادق ((عليه السلام)) عن آبائه ((عليهم السلام)) قال : ((أن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال : لولا الذين يتحابون فيّ ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار لولا هم لأنزلت عذابي))^(١٥٩) .

٤ - الفوائد الدينية والاجتماعية والروحية والتي ذكرناها في محل آخر.

الثاني: الشرعي أو الفقهي، ويمكن أن يكون الحضور واجباً على أحد شكلين:

أ - الوجوب الكفائي: باعتبار حرمة تعطيل المساجد ولا تدفع هذه الحرمة إلا بالحضور في المساجد على نحو الوجوب الكفائي على الأقل فعن الإمام الصادق ((عليه السلام)) قال : ((ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال ومصنف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)).

ب - الوجوب العيني: وتوجد أحاديث يمكن ان يفهم منها ذلك خصوصاً للقريبين من المسجد فعن الإمام الصادق ((عليه السلام)) عن آبائه ((عليه السلام)) قال : ((اشتراط رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: لينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لأمرن مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم أمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي ((عليه السلام)) فليحرقنّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة))^(١٦٠)،

﴿مسألة ٢﴾ إذا كان الحضور في المساجد بهذه الأهمية فلماذا نجد إعراض المجتمع عنها بحيث لا يُشكل عدد الموجودين في المساجد وقت الصلاة إلا نسبة ضئيلة من أفراد المجتمع؟

بسمه تعالى :

إن هذا شيء مؤسف ومؤلم ويعبر عن ضعف الوازع الديني بدرجة كبيرة بحيث لا يُظن أن الالتزام الديني قد خالط لحمهم ودمهم ورسخ في قلوبهم وإنما هو (لقلقة لسان)، وإني قد اطلعت على الواقع المؤلم حيث أجد مسجداً يتوسط مدينة كبيرة أو حياً سكنياً مكتظاً لا يتجاوز عدد المصلين فيه مئة مصلي، فأين الآخرون؟!

وما هو البديل الآخر الذي هو أهم من أداء الصلاة الفريضة في وقتها جماعة في المسجد حتى قدّمه على هذا الحضور المثمر؟! بل الخطب الأفضح أنك تجد البديل هو الجلوس

(١٥٩) الوسائل، ج ٣ أبواب أحكام المساجد، باب ٨ ، حديث ٥
(١٦٠) الوسائل أبواب صلاة الجماعة، باب ٢ ، ح ٦ ، ج ٥ ، ص ٣٧٦

في المقاهي^(١٦١) أو مخالطة أصدقاء السوء أو التسكع في الشوارع والطرق مما يملأ الظهر أوزارا وأثقالا.

﴿مسألة ٣﴾ من المؤكد أن سماحة الشيخ يتفق معان بان إظهار الأسي والألم وحده لا يكفي، إذن فما هو رأيكم ورأي الحوزة الشريفة كحل لمسألة الحضور في المسجد؟

بسمه تعالى : إن الحل يقع من طرفين :

الأول : الحوزة الشريفة وضمن عدة نقاط :

١ - عليهم أن يشغلوا كل مسجد فارغ لا تقام فيه صلاة الجماعة.

٢ - أن يقوموا بتوعية الناس وإرشادهم وتوجيههم بكلمات يقولونها بعد الصلاة يوميا أو في الجمعة مرة على الأقل.

٣ - أن يكونوا بمستوى المسؤولية والدور المطلوب منهم أخلاقيا و علميا وثقافيا واجتماعيا بحيث يسع أحدهم المجتمع كله^(١٦٢). كما قال ((صلى الله عليه وآله)) لأقربائه : ((يا بني عبد المطلب أنكم لا تستطيعون أن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)).

الثاني : أبناء المجتمع، إذ عليهم الالتفاف حول حوزة الدين الشريفة والالتزام بتعاليمها ونصائحها وإعطاء الأولوية في الاهتمام لنداء الدين ولا يكونوا من أبناء الدنيا إن دعوتهم لبوا نداءها وإن دعاهم الدين تتأقلوا إلى الأرض، وإن كان إمام الجماعة مقصراً فعليهم أن يضغطوا عليه ويخرجوه من جموده ليكون بمستوى المسؤولية ضمن الفرصة المتاحة له ولهم، كما أن عليهم رفع أمرهم إلى المرجعية الواعية المخلصة لتضع لهم الحل المناسب عندما يواجهون مشكلة ما، وعليهم التعاون مع إمام مسجدهم الذي يمثل حلقة الوصل بينهم وبين المرجعية.

﴿مسألة ٤﴾ ورد في الحديث الشريف : ((لا صلاة لجار المسجد))^(١٦٣)، وفهم منها الفقهاء بأنه لا صلاة كاملة لجار المسجد ولم يُفت أحد منهم ببطلان صلاته، فهل ترون ما رأوه

(١٦١) وقد تمت الإجابة على بعض الأسئلة من قبل سماحة الشيخ في الجزء الأول من سلسلة ظواهر اجتماعية منحرقة تتعلق بموضوع الجلوس في المقاهي.
(١٦٢) وفي كتاب وصايا ونصائح لخطباء وطلبة لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي ((دام ظلّه)) مل فيه الفائدة فليراجع ذلك الكتاب.

الفقهاء؟ ثم ألا يعتبر الحكم بصحة الصلاة تهوين للحث على حضور المساجد الذي أراده الرسول ((صلى الله عليه وآله))؟

بسمه تعالى

(لا) هنا نافية للجنس فيكون مفادها نفي الحقيقة، أي حقيقة الصلاة ويكون معناها أن صلاة جار المسجد في غير المسجد لغو، لكن لما دلت أدلة أخرى على أجزائها وبراعة الذمة بأداء الصلاة ولو في غير المسجد فتحمل (لا) هنا - في الحديث - على نفي الكمال ويكون تقدير الجملة (لا صلاة كاملة) وبالتأكيد فإن الصلاة في المسجد أكمل من الصلاة خارجه، وليس في ذلك تقليل من أهمية الصلاة في المسجد، لكن الشارع المقدس لعلمه بتباين مستويات الناس واستعدادهم لتطبيق الشريعة الإلهية فإنه وضع حدا أدنى (وهي المحرمات والواجبات) التي لا يسمح بالتهاون بها وهو حد يشترك به جميع الناس ويستطيع أداءه جميع الناس ولا يستطيع أن يكلف الناس كلهم بأكثر من ذلك لأنهم سيمردون، ثم جعل فوق ذلك مكروهات حث على اجتنابها ومستحبات رغب في إتبانها ليتنافس فيها المتنافسون ويزداد منها من يطلب الكمال، والمفروض أن كلامنا يريد الاستزادة من الخير ولا يقف عند حد وليس طالب الدنيا بأشد فهما وطلبا للمزيد من الراغب في الآخرة، فكما أن ابن الدنيا لا يقف طموحه عند حد فكذا ابن الآخرة، فإذا هو لا يقف عند الحد الأدنى بل يسعى نحو المزيد والالتزام بهما عنده سواء.

﴿مسألة ٥﴾ قد لا يتوفر للبعض فرصة الحضور في المساجد لبعده المسافة أو سوء

الأحوال الجوية أو وقت الفجر حيث يصعب الخروج إلى المسجد فما هو البديل؟

بسمه تعالى

إن ما ذكر في السؤال لا يعد مانعاً عن الحضور في المساجد بل على العكس هو فرصة لزيادة الأجر والثواب باعتبار أن أفضل الأعمال أشقها على النفس وأكثرها مخالفة لهواها، فبعد المسافة يعني زيادة عدد خطوات المشي إلى المسجد وقد نصت الأحاديث^(١٦٤) على أن في كل خطوة ما شاء الله من الحسنات، أما الأحوال الجوية، فقد روي الإمام السجاد ((عليه السلام)) في ليلة ممطرة شتائية وهو يسير في طرقات المدينة بأبهى حلة فقيل إلى أين يا ابن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في مثل هذا الحال؟ قال ((عليه السلام)): إلى مسجد رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) أخطب إلى الله عز وجل الحور العين في الجنة. وأما وقت الفجر ورد الحث

(١٦٤) ذكر حديث منها في معرض الإجابة على السؤال الأول من هذه الحوارية.

الأكيد على إقامة صلاة الصبح جماعة (راجع الوسائل أبواب صلاة الجماعة).

ولو تنزلنا عما قلناه فإنه يستحب لكل إنسان أن يتخذ مسجداً في بيته بمعنى أن يخصص مكاناً للعبادة، ويظهر من بعض الأحاديث أن الأئمة كانوا يفعلون ذلك، لذا ورد استحباب إشعال السراج في مصلى المؤمن في الليلة الأولى بعد دفنه وورد أن ممن يبكي على المؤمن إذا مات البقعة التي كان يعبد الله فيها ويرفع منها عمله الصالح، مما يدل على وجود بقعة معينة كان يتخذها مسجداً.

وإذا كان الشخص يحسن القراءة وملتزماً بالشريعة (وهو ما يعرف بالعدالة) فيمكنه أن يقيم صلاة الجماعة بأهله في الدار فيؤجر ويؤجرون، وتتعد الجماعة ولو بواحد مع الإمام.

﴿مسألة ٦﴾ ما هو برأيكم الفارق الرئيسي بين الصلاة في البيت والصلاة في المسجد؟

ولماذا حث الإسلام على الحضور في المساجد بشكل مكثف؟

بسمه تعالى

الصلاة في المساجد تثمر عن نتائج إيجابية كبيرة على الصعيد الروحي والديني والاجتماعي وقد ذكر أحد الأخبار الشريفة مجموعة من هذه الثمار، ففي كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رضي الله عنه) عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) أنه كان يقول: ((من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان أخصا مستفادا في الله أو علما مستظرفا أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة تردده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنبا خشية أو حياء))، وقوله ((عليه السلام)) إحدى الثمان أي على الأقل وإلا فيمكن للمؤمن أن يحصل عليها جميعا فإنه يتعرف على أخوة مؤمنين ويكسب أصدقاء خيرين كما أنه يستفيد علما جديداً أو يتعلم تفسير آية محكمة من خلال استماعه للمحاضرات والخطب والحوارات التي تعقد في المساجد وأنه يشمل بالرحمة التي يفيضها الله تبارك وتعالى على زائريه في بيته وعلى المجتمعين في صلاة الجماعة أو محاضرة دينية أو مجلس لذكر مناقب وفضائل أهل البيت ((عليهم السلام))، ويستمتع أيضاً إلى موعظة تولد عنده روح التقوى والورع وتذكره بالموت وأحوال الآخرة فيرتدع عن المعاصي والذنوب أو ينصت إلى إرشاد وتوجيه يهديه إلى طريق الحق كما أنه خلال وجوده في المسجد يكون في مأمن من الوقوع في كثير من المحرمات التي يمكن أن يتورط بها الإنسان في حياته العامة فتكون فرص الذنوب معدومة في المسجد كالنظر إلى الأجنبية أو استماع القساء أو مجاملة أهل الفسق والعصيان، وهذه الفوائد وغيرها كثير مما

يجنيه الإنسان من ترده على المساجد، وقد جرب كل واحد منا هذه النعم والفيوضات الإلهية وعظمة السعادة والطمأنينة التي يشعر بها أثناء وجوده في المساجد ويبقى طعمها في أعماقه ويعطيه جرعة جديدة لاجتتاب المعاصي والازدياد من الطاعات.

﴿مسألة ٧﴾ تشكو بعض المناطق من عدم وجود صلاة جماعة في مساجدها أو انحسار عدد المصلين فيها بحيث لا يبقى أحد إلا المؤذن و خادم المسجد، فما هي أسباب ذلك وكيف يتم معالجتها؟

بسمه تعالى

أسباب ذلك عديدة يمكن تصنيفها ضمن عناوين :

أولاً : حوزوية، ومنها :

١ - قلة عدد طلبة الحوزة الشريفة المؤهلين لتمثيل المرجعية في المناطق المختلفة وأداء وظيفتهم الشرعية.

٢ - سوء تصرف بعضهم إما بالتوسع في المعيشة والترف أو عدم سعة الصدر مما أوجب نفور الناس وإعراضهم عنهم أو التشكيك فيهم.

٣ - المبالغة في فهم (العدالة) المشترطة في إمام الجماعة بحيث تقرب عند البعض من العصمة.

ثانياً : نفسية :

١ - شعور البعض بأن الحضور في المسجد مخالف للتقية.

٢ - النفور من تصرفات بعض المؤننين وخدمة المساجد لكثرة ما يطالب به من تبرعات لترميم المسجد أو لشؤونه الخدمية، أو لسوء أخلاقهم لأن أغلبهم من الجهال ويعتبر هذه الوظيفة نحواً من أنحاء التسلط، فتظهر نفسه الأمانة بالسوء على حقيقتها.

٣ - خلافات شخصية مع إمام الجماعة أو بعض الموجودين في المسجد.

٤ - نزوع النفس الإنسانية إلى حب الدنيا واللهو واللعب والترفيه، ولا شك أن فترة

الحضور في المسجد تحمل معاني الجد والالتزام والانضباط.

ثالثاً : إجتماعية :

١ - قلة الوعي الديني لدى المجتمع وعدم التفاته إلى أهمية الحضور في المساجد والفوائد المترتبة عليه.

٢ - تفشي الإشاعات والبحث عن العيوب والنقائص ولو كانت وهمية أو كانت قديمة وتاب عنها الرجل - أعني إمام الجماعة - .

٣ - إقامة الفواتح ومجالس العزاء بما تتضمنه من مراسيم إجتماعية أو تقديم مساعدة مالية على نحو الواجب فيتخرج من لا يريد الالتزام بذلك من الدخول في المسجد.

رابعاً : اقتصادية :

١ - تعقيد متطلبات الحياة مما أوجب على الإنسان أن يُفَرِّغ جزءاً كبيراً من وقته للعمل فقد يرى أن الحضور في المساجد وظيفية (العاطلين) ويكفيه هو الحضور يوم الجمعة فقط، أو في شهر رمضان.

٢ - ضعف المستوى المعاشي للكثير من أبناء المجتمع بحيث لا يستطيع دفع أجور النقل والمصاريف الأخرى التي يستلزمها المجيء إلى المسجد.

هذه بعض الأسباب ويمكن أن يلتفت المؤمنون إلى غيرها كما أنه قد توجد أسباب خاصة بمنطقة دون أخرى، ومادام معرفة السبب هو نصف الحل إذن يمكننا الآن وضع بعض الحلول المناسبة ويمكن اكتشاف بعضها من خلال نفس الأسباب المذكورة :

١ - زيادة الوعي الديني والالتفات إلى الفوائد والآثار الإيجابية للتردد على المساجد في الدين والدنيا.

٢ - أن يكون سلوك أئمة الجماعة والمتصددين للمسؤوليات الإجتماعية موافقاً للصورة النقية المشرقة لأئمة الإسلام وبين أيدينا سير ناصعة لهم وما علينا إلا الاقتداء بها وإتباع النفس في تطبيقها ولو أدى ذلك إلى حرمان النفس من بعض مشتبهاتها فإن ذلك في عين الله سبحانه ورعائته ولطفه، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١٦٥) وهذا النهي شامل حتى للمباحات مادام ذلك يؤدي إلى حزازة في قلوب الناس وامتعاض وسوء ظن، وبين أيدينا سيرة أمير المؤمنين ((عليه السلام)) الذي رقع مدرعته حتى استحيى من راقعها وتجنب ما يحل له من طيب المعاش مواساةً للفقراء

وهو يقول ((عليه السلام)) ((لكي لا يتبع بالفقير فقرة)) ، ووصية رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) لعمة العباس ((يا بني عبد المطلب أنك لا تسعون الناس بأموالكم فسعواهم بأخلاقكم)) ، وفي الحديث (إله الرناسة سعة الصدر)، ويعني بالرناسة كل مسؤولية اجتماعية.

٣ - عدم السماح بتصرفات أو أعمال تؤدي إلى نفور الناس عن الحضور في المسجد.

٤ - زيادة الثقة بالله تبارك وتعالى وانه يخلف على من أنفق في سبيله.

٥ - توجيه الأنظار إلى الآخرة وطلب الكمال فيها وعدم الاقتصار على طلب الدنيا

(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)، «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» (١٦٦).

﴿مسألة ٨﴾ ما هو رأيكم بمحاولة بعض أئمة المساجد بفتح حلقات دروس حوزوية

في مناطقهم، وهل يمكن أن يعتبر هذا بداية لتوسيع رقعة الحوزة الشريفة وجعلها ممتدة في المحافظات بدلاً من وجودها في النجف الأشرف فقط؟ وما هي توصياتكم لتنظيم وتفعيل هذه العملية من نوع الدروس وكميتها؟

بسمه تعالى

توجد عدة خطوات لتفعيل دور المسجد في حياة المسلمين، وهذه إحداها، وينبغي أن تأخذ كل الحوزة حاجتها وظروفها بنظر الاعتبار لتحديد شكل دروسها ونوعية مناهجها، لكن الدروس الأساسية هي الفقه، والعقائد، والأخلاق، والتفسير، والتاريخ، ومبادئ العربية ويكون من الراجح انتقاء المقبولين منهم وحثهم على مواصلة التحصيل في النجف الأشرف.

﴿مسألة ٩﴾ ما هي برأيكم الطرق الأخرى التي من شأنها تفعيل دور المسجد في

حياتنا وجعله وفق مستوى الطموح؟

بسمه تعالى

يمكن تحصيل عدة نقاط لإعادة دور المسجد في حياة المجتمع وإبراء الذمة أمام الله تبارك وتعالى من شكوى المساجد المعطلة التي سمعتها في الأحاديث الشريفة، وقد تقدم آنفاً بعضها، وهذا بعض آخر:

١ - إشغال كل مسجد مهما كان بسيطاً ونانياً بإمام يقيم فيه الشعائر وإذا خلت المنطقة

أو ناحية من مسجد فيمكن اتخاذ غرفة كبيرة في أحد البيوت مما يعرف بـ (المضيف) أو

(الديوانية) أو (غرفة الاستقبال) وتتخذ لها باب خارجية تفتح للمصلين في أوقات الصلوات وإقامة الشعائر الدينية وتجهيزه بمكبر صوت لرفع الأذان، ولا اعتقد أن هذا يكلف شيئاً يذكر رغم كثرة الخيرات والبركات فيه.

٢ - الحرص على إقامة صلاة الجماعة خصوصاً المغرب والعشاء وكل الفرائض اليومية بل في العيدين وعند حصول الخسوف والكسوف، فلقد ثبت بالتجربة أن المسجد الذي تقام فيه صلاة الجماعة يكون أكثر فاعلية واجتذاباً للناس من المسجد الخالي منها، وهم على حق في ذلك من عدة جهات :

أ - الثواب العظيم في صلاة الجماعة بحيث أن عدد المصلين إذا بلغ عشرين لا يحصي ثوابها إلا الله تبارك وتعالى.

ب - إن وجود إمام الجماعة يلزم منه تحقيق فوائد كثيرة كإجابة الاستفتاءات وقضاء الحوائج الاجتماعية - كإصلاح ذات البين والتوفيق بين الأزواج - والاقتصادية كذلك والوعظ والإرشاد وتبليغ الأحكام الشرعية.

٣ - اختيار إمام الجماعة المخلص لله تبارك وتعالى الحريص على المصالح الاجتماعية أكثر من مصلحة نفسه وأن يكون ذا فضيلة علمية ليستطيع تلبية احتياجات المجتمع الفكرية والفقهية والثقافية، وأقل ما يجزيه من النشاط هو إلقاء محاضرة في الأسبوع مرة تطبيقاً للحديث الشريف : ((أف لرجل لا يُفرغ نفسه ولو في كل جمعة - أي أسبوع - ساعة لينتفه في الدين)) ، ولما كانت فرصة القراءة والنتفه ليست متاحة لكل أحد لأسباب شتى فعلى إمام المسجد توفير هذه الفرصة للمجتمع وبذلك فهو يعينهم على امتثال أمر الإمام، وهذا دوره في المجتمع والذي يتمثل بتقريب الناس إلى طاعة الله تبارك وتعالى بتكثير فرصها وفتح المزيد من أبوابها وتقليل فرص المعصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى المسؤوليات المذكورة في النقطة السابقة.

٤ - إحياء الشعائر الدينية ومناسبات أهل البيت ((عليهم السلام)) وعدم الاكتفاء بشهر رمضان والعشرة الأولى من شهر محرم الحرام. وأكد على ضرورة إقامة المجالس في المساجد بدلاً من البيوت لعدة فوائد :

أ - انها أبعد عن الرياء والعُجْب.

ب - يكون الحضور خالصاً لله تبارك وتعالى لا مجاملة لأحد.

ج - في ذلك إعطاء أهمية للمسجد.

د- اقتران تلك المجالس عادةً بصلاة الجماعة وغيرها من الفوائد.

هـ - أنها أعظم أجراً لأن الجلوس في المساجد عبادة كما في الحديث الشريف.

و- إقامة المسابقات الدينية والثقافية خصوصاً في شهر رمضان وليالي أيام الجمع

وتعيين الجوائز للفائزين، وهذا يحقق أكثر من ثمرة:

أ - حث المؤمنين على قراءة الكتب والازدياد من العلم والمعرفة ليكونوا بمستوى

المسابقات.

ب - حثهم على الحضور في المساجد لما في جو المسابقات من متعة وفائدة

وتسليّة مشروعة.

٦- وضع لوحة إعلانات يُسجّل فيها مثلاً حديث شريف له ثمرة اجتماعية أو أخلاقية

أو عقائدية ويُسجّل فيها بعض الأحكام الإبتلائية أو استفتاءات مستحدثة أو خبر نافع عن

الحوزة أو إصدار جديد أو إلفات النظر إلى حالة اجتماعية منحرفة أو معاملة سوقية باطلة

وتصحيح ذلك وفق الضوابط الشرعية، وأي شيء آخر يشد الناس إليها ويجعلهم في تفاعل

مستمر مع المسجد.

٧ - تلاوة القرآن الكريم بمكبرات الصوت قبل الأذان بوقت مناسب وكذا بعض الأدعية

المباركة كدعاء كميل وزيارة الحسين ((عليه السلام)) كل ليلة جمعة أو دعاء الندبة قبل الظهر

من يوم الجمعة أو دعاء الصباح بين الطلوعين ودعاء العهد مع إشراقه صباح كل جمعة

وزيارة صاحب الأمر ((عليه السلام)) بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة وبعدها الآية الشريفة ﴿

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١٦٧) (خمس مرات) ثم دعاء ((يَا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقْدُ

المكاره)) الموجود في الصحيفة السجادية.

٨ - إنشاء حلقات تعليم القرآن الكريم : تلاوة وتجويداً وتفسيراً وحلقات دروس الفقه

والأخلاق والعقائد.

٩ - ولا بأس بإعطاء الفرصة للنساء بالمشاركة في صلاة الجماعة والاستماع إلى

المحاضرات ومجالس التعزية إذا كان بناء المسجد يسمح بتوفير مكان مخصص لهنّ من دون

احتكاك أو اختلاط مع الرجال ومن دون حصول أية مخالفة شرعية.

١٠ - تأسيس مكتبة عامة في كل مسجد تضم مجموعة من الكتب الدينية والثقافية

التي يُحسن بالمسلم الاطلاع عليها.

هذا بعض ما حضرني على نحو السرعة ويمكن الالتفات إلى المزيد بالتأمل والتفكير

وإخلاص النية لله تبارك وتعالى وبحسب ما تسمح به الظروف ولا يتجاوز حد الممكن.

وأنت ترى أن المسؤولية متبادلة بين المجتمع والحوزة لأنني قلت في مناسبة سابقة

أن بعضهم يكمل بعض، فالحوزة تُرشد المجتمع وتوجهه إلى طريق الصلاح والمجتمع يُطبق

ويمثل ويمارس دور الشاهد على الحوزة ليقمها هل أدت دورها كما ينبغي، فإمام المسجد

الذي لا يفي بواجباته يُبدل بمن هو خير منه إن أمكن ذلك . . . ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٦٨) ولا يتوقع الخير للمجتمع إلا عندما يقوم كل واحد بمسؤوليته

تجاه الله تبارك وتعالى.

وعلى المؤمنين أن يساهموا في إنجاح هذه الخطوات مادياً بالتبرعات والصدقات ودفع

الحقوق الشرعية، ومعنوياً بالمشاركة والحضور الدائم والتواجد المستمر وتشجيع القائمين

بالاعمال وكفالتهم اجتماعياً واقتصادياً إلى غيرها من أساليب أداء هذه الأعمال وضمان نجاحها

وتأثيرها في حياة الناس.

﴿مسألة ١٠﴾ هناك شبهة عند بعض الناس يظنونها في وجه من يروم بناء مسجد،

ألا وهي : أنكم لو صرفتم هذه الصريفات على الفقراء والمحتاجين خاصة في ظل هذه الظروف

لكان أولى؟ فإلى أي مدى يكون هؤلاء محقين وكيف يتم التوفيق عملياً بين هاتين الطاعتين

بناء المساجد وإطعام أو كسوة المساكين؟

بسمه تعالى

إن وجوه البرّ كثيرة وسُبُل الوصول إلى الله سبحانه ونيل رضاه كثيرة وفي الحديث :

أن الله أخفى رضاه في طاعته، أي لم يحدد أي طاعة أهم وأيها أقل أهمية ليدفع العبد إلى امتثال

كل الطاعات ليضمن الوصول إلى رضا الله سبحانه في أحدها، أما إذا أدى واحدة فلا يضمن ذلك

لاحتمال أن الطاعة الأخرى التي لم يؤدها هي أرضى لله سبحانه. فكل الطاعات مطلوبة اما

الأولويات فتحدد بحسب الظروف فقد يكون بناء مسجد أهم كما لو كنت مدينة أو قرية تضم

آلاف الأشخاص وليس لها مسجد تجتمع فيه وتقيم شعائرها الدينية، وقد يكون قضاء حوائج

المؤمنين (أهم) كما لو وجد في المدينة عدة مساجد وأفية بالعرض وعلى جميع التقادير لا حاجة إلى الترف في بناء المساجد وزخرفتها وصرف المبالغ الطائلة على الكماليات والنقوش والتجميل، فإن صرف هذه المبالغ في سدّ احتياجات المؤمنين خصوصاً في هذا الظرف الصعب يكون مهماً وأكيداً في نظر الشارع المقدس.

﴿مسألة ١١﴾ نرى بعض التجار والميسوري الحال ممن وفقهم الله لبناء مسجد بينونه على بعد ١٠٠ م أو ٢٠٠ م فقط من مسجد آخر، بينما تخلو بعض الأحياء الفقيرة والقرى من مسجد صغير أو حتى من جهاز وسماعة لرفع الأذان، فبماذا تنصحون هؤلاء؟

بسمه تعالى

المفروض بالمؤمنين أن يسعوا لسلوك أفضل السبل لنيل مرضاة الله سبحانه فإن تكثير المساجد بحيث تبقى معطلة لعدم الحاجة إليها ليس فيه كثير الثواب للمتبرع بها كالذي يحصل عليه لو بنى هذا المسجد في مدينة أو قرية تشكو من عدم وجود مسجد فيها، فالتاجر الحقيقي مع الله سبحانه هو الذي يبحث عن الفرصة التي فيها ربح أكثر بل قد يكون المؤمنون المتمكنون مالياً مسؤولين ومعاتبين لو بقيت منطقة ليس فيها مسجد ولو صغير بل ولو بإعداد غرفة من أحد البيوت وتجهيزها بمكبر الصوت لرفع الأذان، في أوقات الصلوات، وهذا العمل على بساطته فإن فيه خيراً كثيراً.

﴿مسألة ١٢﴾ ورد في بعض الأحاديث التي تصف آخر الزمان أن جوامع أهل ذلك الزمان عامرة إلا من ذكر الله، كما ورد في الرسائل العملية كراهة زخرفة المسجد، فبماذا تنصحون بناء المساجد من هذه الناحية؟ وما حكم وضع صور أئمة أهل البيت ((عليهم السلام)) على جدران المسجد ووضع بعض الصور الأخرى التي تبين بعض أحكام الصلاة والوضوء؟

بسمه تعالى

أشرنا في جواب سابق إلى كراهة زخرفة المساجد وتزيينها والاهتمام بمظاهرها المادية، فإن صرف هذه المبالغ في قضاء حوائج المؤمنين أجدى وأكثر قربة إلى الله سبحانه والمهم هو إعمارها بالطاعة وذكر الله سبحانه وإقامة الشعائر المقدسة ومجالس ذكر أهل البيت ((عليهم السلام)).

ولا بأس بتعليق لوحات قرب المرافق الصحية وحفريات الماء تبين أحكام الوضوء والتخلي وآدابهما ومستحباتهما فإنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿مسألة ١٣﴾ بعض متولي الجوامع يتعاملون مع أهل المنطقة ممن يريد استغلال الجامع لإقامة عزاء تعاملًا ماديًا أشبه بعقد الإجارة؟ فما هو رأيكم؟

بسمه تعالى

الحكم في هذه المسألة يتبع الوقفية فإذا نصت على أن إقامة الفواتح والشعائر الأخرى مجانية فلا يجوز أخذ بدل الإيجار، نعم من حقه أن يأخذ أجره على الخدمات الأخرى التي يقوم بها كما أنه قد يكون من المناسب وضع صندوق مالي لسد احتياجات المسجد وما يتعلق به كأجور نقل إمام الجماعة فيه أو مصاريف إقامة الشعائر الدينية ومناسبات الأئمة ((عليهم السلام)) فيه ويكون أحد مصادر هذا الصندوق وما يتبرع به المستفيدون من المسجد من نون مساومة ومعاملة كما يفعل تجار الدنيا.

﴿مسألة ١٤﴾ نرى في بعض الجوامع التي تقام بها مجالس الفاتحة الخروج عن آداب المسجد وانتهاك لحرمة فبماذا تنصحون؟ وهل يشمل الحكم الحسينيات التي تقام بها تلك المجالس؟

بسمه تعالى

هذا العنوان يستحق إفراده ببحث مستقل^(١٦٩) لأن فيه تفاصيل كثيرة يجب بيانها وإفادات نظر الناس إليها، إذ ترتكب فيها مخالفات شرعية كثيرة كعدم الإنصات إلى قراءة القرآن والخوض في فضول الدنيا بل التورط في معاصي لسانية كثيرة كالغيبة والنميمة والجدال والمرء مما نهى عن ممارستها في نفسها فضلاً عن ارتكابها في المساجد وورد في الحديث أن مجموعة من الناس لا يشمون ريح الجنة ويطردون من رحمة الله أحدهم من يخوض في فضول كلام أهل الدنيا أثناء قراءة القرآن وفي المساجد ولا يقل هذا القبح لو حصلت في الحسينيات

(١٦٩) تم التعرض لشيء مما يتعلق بالفاتحة والعزاء عبر حوارية نشرت في سلسلة ظواهر اجتماعية منحرفة (الجزء الثاني).

وإن كانت حرمة الحسينيات أقل من المساجد من ناحية عدم ترتب الأحكام الشرعية فيها، لذا فإن هذه المجالس فقدت روحها ولم تعد تثمر النتائج المرجوة منها كالاتعاظ وأخذ العبرة والتدبير في آيات الله سبحانه والمواساة.

﴿مسألة ١٥﴾ هل الاستماع إلى قراءة القرآن في مجلس الفاتحة المقامة في المسجد واجب سواء صدر من جهاز تسجيل (مسجل) أو صدر من قارئ مباشرة، وبماذا تنصحون في هذا الصدد؟

بسمه تعالى

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١٧٠) وهو يشمل صوت القراءة الصادر من آلة التسجيل، وقد وردت أحاديث كثيرة في نم من يتكلم والقرآن يقرأ وأنه مطرود من رحمة الله سبحانه.

﴿مسألة ١٦﴾ توجد بعض حالات التنافس بين المصلين في الكثير من الجوامع حول المكان في الصف الأول أو حول الدعاء بعد الصلاة أو الأذان لصلاة الجماعة أو الإقامة لها أو غيرها من الأمور، فهل هذا التنافس مشروع ومقر من قبل الشرع؟ وإلى أي مدى تكون حدوده؟ نرجو بيان رأيكم ونصيحتكم؟

بسمه تعالى

الصلاة في الصف الأول أفضل من غيره وميامن الصفوف خير من مياسرها والأذان والإقامة لصلاة الجماعة فيها خير كثير، فإذا كان معنى التنافس هو الاستباق إلى الخيرات فهو صحيح ودعا له القرآن الكريم ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(١٧١)، لكن هذا لا يعني تجاوز الآداب والحدود الشرعية فقد وضعت أولويات فالصف الأول لنوي الفضل كما أنه إذا وجد مؤذن راتب فيقدم إلا إذا أذن لغيره، وأن لا يؤدي هذا التنافس إلى خشونة في الكلام وخروج عن الآداب بين الأخوة المؤمنين.

﴿مسألة ١٧﴾ سمعنا من الرسائل العملية أن الأذان يسقط عند سماع شخص يؤذن

(١٧٠) سورة الأعراف: ٢٠٤

(١٧١) سورة البقرة: ١٤٨

فهل هذا السقوط يشمل الأذان الإعلامي في سماعات الجامع سواء كان صادراً من جهاز تسجيل أو من مؤذن مباشرة؟

بسمه تعالى

الظاهر أن المقصود به أذان الصلاة لا أذان الأعلام وقيدها بعضهم بأذان صلاة الجماعة خصوصاً، ومع هذا فإنه سقوط رخصة لا سقوط عزيمة فيجوز للمصلي أن يؤذن ويقيم وإن سمع أذان وإقامة غيره.

الأربعون حديثاً في

فضل المساجد وآدابها والمنع من هجرها

في نهاية المطاف نختم الكتاب بجمع أربعين حديثاً حول المساجد وفضلها لأن الرسول ((صلى الله عليه وآله)) أوصى الإمام أمير المؤمنين ((عليه السلام)) فيما أوصاه به فقال: ((يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب ذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً))^(١٧٢) إضافة إلى ذلك فإن كلام المعصومين ((عليهم السلام)) فيه من القوة والتأثير ما لا يوجد في كلام البشر الآخرين، لذا فإن إيراد هذا الجمع من الروايات عن أهل البيت ((عليهم السلام)) فيه أكبر الأثر في إتمام ما يراد من الكتاب، وقد جعلنا الأربعين حديثاً الآتية مقسمة على عدة عناوين يندرج ضمن كل منها واحد أو أكثر من هذه الأحاديث الأربعين:

أولاً: أعمار المساجد

- ١ - عن النبي ((صلى الله عليه وآله)) قال: ((إذا أنزل الله عاهة من السماء عوفي منها حملة القرآن ورعاية الشمس - أي الحافظون لأوقات الصلاة - وعمّار المساجد))^(١٧٣).
- ٢ - عن علي بن أبي طالب ((عليه السلام)) قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ((ست خصال من المروءة: ثلاث منها في الحضر وثلاث منها في السفر، فأما التي في الحضر: فتلاوة كتاب الله عزّ وجلّ، وعمارّة مساجد الله، واتخاذ الأخوان في الله عزّ وجلّ، وأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير المعاصي))^(١٧٤)

- ٣ - قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) ((مَنْ بَنَى مَسْجِداً فِي الدُّنْيَا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِكُلِّ شَبْرٍ مِنْهُ أَوْ قَالَ بِكُلِّ ذِرَاعٍ مِنْهُ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ عَامٍ مَدِينَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَثُرٌّ وَيَأْقُوتٌ وَزَمْرَدٌ وَزَبْرَجْدٌ وَلَوْلُؤٌ))^(١٧٥).

ثانياً: نم بناء المنائر وزخرفة المساجد

(١٧٢) لذلك دأب اغلب المصنفين على تصنيف ما يتعلق بجمع أربعين حديثاً أو شرح أربعين منها.
(١٧٣) مستدرک الوسائل، ح ٣، ص ١٤٩.
(١٧٤) الخصال، ص ٣٢٤، حديث ١١.
(١٧٥) الوسائل، جزء ٣، ص ٤٨٦، حديث ٤، أبواب أحكام المساجد.

٤ - عن أبي هاشم الجعفري قال كنت عند أبي محمد ((عليه السلام)) فقال: ((إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد)) فقلت في نفسي لأي معنى هذا، فاقبل عليّ فقال (معنى هذا إنها محدثة مبتدعة لم بينها ولا حجة))^(١٧٦).

٥ - قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في حديث طويل فيه ((يا بن مسعود ما يعني من يتنعم في الدنيا إذا اخلد في النار «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ»^(١٧٧) بينون الدور ويشيدون القصور ويزخرفون المساجد وليست همتهم إلا الدنيا))^(١٧٨).

٦ - في حديث لرسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يذكر فيه اشراط قيام الساعة منه قال ((صلى الله عليه وآله)) : ((يا سلمان أن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس ويحلى المصاحف وتطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة)) قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله. قال ((صلى الله عليه وآله)) : ((أي والذي نفسي بيده))^(١٧٩).

ثالثاً : الحث على الصلاة في المسجد

٧ - عن مرزم قال : قال أبو عبد الله ((عليه السلام)) : ((عليكم في الصلاة في المساجد وحسن الجوار وإقامة الشهادة وحضور الجنائز))^(١٨٠).

٨ - قال النبي ((صلى الله عليه وآله)) : ((لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده))^(١٨١).

٩ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) : ((سبعة في ظل عرش الله عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله ورجل ذكر الله عزّ وجلّ خالياً ففاضت عيناه من خشية الله عزّ وجلّ ورجل لقي أخاه المؤمن فقال أني لأحبك في الله عزّ وجلّ ورجل خرج من المسجد وفي

(١٧٦) البحار، ح ٥٢، ص ٣٢٣، رواية ٣٢، باب ٢٧.

(١٧٧) سورة الروم : ٧.

(١٧٨) البحار، ح ٧٧، ص ٩٩، رواية ١، باب ٥.

(١٧٩) البحار، جزء ٦، ص ٣٠٧، رواية ٦، باب ١.

(١٨٠) الكافي، جزء ٢، ص ٦٣٥.

(١٨١) الوسائل، ح ٣، ص ٤٧٨.

نيتيه أن يرجع إليه ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال أنسي أخاف الله رب العالمين))^(١٨٢).

وفي رواية أخرى ((ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه))^(١٨٣).

١٠ - عن الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((يا فضل لا يأتي المسجد من كل قبيلة إلا وافدها ومن كل أهل بيت إلا نجيبها، يا فضل لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث خصال : أما دعاء يدعوا به يدخله الله به الجنة وأما دعاء يدعو به فيصرف الله عنه بلاء الدنيا وأما أخ يستفيده في الله))^(١٨٤).

رابعاً : الاختلاف إلى المساجد

١١ - عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) قال : ((من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى ثمان أخطأ مستفاداً في الله أو علماً مستظرفاً أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشيةً أو حياء))^(١٨٥).

١٢ - عن الاصبغ بن نباته قال : قال أمير المؤمنين ((عليه السلام)) : ((كانت الحكماء فيما مضى من الدهر تقول : ينبغي أن يكون الاختلاف إلى الأبواب لعشرة أوجه أولها بيت الله عزّ وجلّ لقضاء نسكه والقيام بحقه وأداء فرضه))^(١٨٦).

خامساً : عدم هجر المساجد

١٣ - عن جابر قال سمعت رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) يقول : ((يجئ يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ : المصحف والمسجد والعترة. يقول المصحف : يا رب حرفوني، ويقول المسجد : يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة : يا رب قتلونا وطردونا وشرّدونا. فاجثوا للرّكبين للخصومة، فيقول الله جل جلاله لي : أنا أولى بذلك))^(١٨٧).

١٤ - عن زريق، عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها، فأوحى الله إليها وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة

(١٨٢) الخصال، ٣٤٣، حديث ٨ .

(١٨٣) المصدر السابق، حديث ٧ .

(١٨٤) الوسائل، ج٣، ص ٤٧٧ أبواب أحكام المساجد .

(١٨٥) الخصال، ص ٤٠٩، باب الثمانية ح ١٠ .

(١٨٦) الخصال، ص ٤٢٦، باب العشرة ح ٣ .

(١٨٧) الخصال، ص ١٧٤، باب الثلاثة ح ٢٣٢ .

واحدة، ولا اظهروا لهم في الناس عدالة، ولا نالتهم رحمتي ولا جاورني في جنتي))^(١٨٨).

سادساً : استحباب المشي إلى المساجد

١٥ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((مَنْ مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً

على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الارضين السابعة))^(١٨٩).

١٦ - عن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((ما عبّد الله

بشيء أفضل من الصمت والمشي إلى بيته))^(١٩٠).

١٧ - عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال : ((مَنْ مشى إلى مسجد من مساجد

الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له

عشر درجات))^(١٩١).

(١٨٨) الوسانل، ج٣، ص٤٧٩، ح٨ .

(١٨٩) الوسانل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح١ .

(١٩٠) الوسانل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح٢ .

(١٩١) الوسانل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح٣ .

سابعاً : المساجد بيوت الله

١٨ - عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله ((عليه السلام)) عن العلة في تعظيم المساجد فقال : ((إنما أمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله في الأرض))^(١٩٢).

١٩ - محمد بن علي بن الحسين قال: روي أن في التوراة مكتوباً ألا أن بيوتي المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي إلا أن على المزور كرامة الزائر، إلا بشر المشانين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة)^(١٩٣).

ثامناً : استحباب التطيب ولبس الثياب الفاخرة عند التوجه إلى المساجد.

٢٠ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((أن علي بن الحسين ((عليه السلام)) استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلف بالغالية، فقال له جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين، قال : فقال : إلى مسجد جدي رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) أخطب الحور العين إلى عزّ وجلّ))^(١٩٤).

تاسعاً : مسجد المرأة بيتها

٢١ - عن الصادق ((عليه السلام)) قال : ((خير مساجد نساتكم البيوت))^(١٩٥).

٢٢ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((صلاة المرأة في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في الدار))^(١٩٦).

عاشراً : المسجد احب البقاع إلى الله

٢٣ - عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله))

لجبريل ((عليه السلام)) يا جبرائيل أي البقاع احب إلى الله - عزّ وجلّ - قال: المساجد، واحب

(١٩٢) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٧٠، ح ١.

(١٩٣) المصدر السابق، باب ٣٩، ح ١.

(١٩٤) المصدر السابق، باب ٢٣، ح ١.

(١٩٥) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٣٠، ح ٢.

(١٩٦) المصدر السابق، ح ١.

أهلها إلى الله أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها))^(١٩٧).

٢٤ - قال النبي ((صلى الله عليه وآله)) : ((من كان القرآن حديثه والمسجد بيته بنى

الله له بيتاً في الجنة))^(١٩٨).

حادي عشر : مساجد آخر الزمان

٢٥ - عن زرارة، عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال : ((قال أمير المؤمنين ((عليه

السلام)) : قوام الدين بأربعة : بعالم ناطق مستعمل له، وبغني لا يبخل بفضله عن أهل دين الله وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم. فإن اتمم العالم علمه، وبخل الغني بماله، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم رجعت الدنيا إلى ورائها القهقري، فلا تغرنكم كثرة المساجد وأجساد قوم مختلفة، قيل: يا أمير المؤمنين كيف يعيش في ذلك الزمان، فقال : خالطوهم بالبرانية - يعني في الظاهر - وخالفوهم في الباطن، للمرء ما اكتسب وهو مع مَنْ احب، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عزّ وجلّ))^(١٩٩).

٢٦ - ذكر ورّام بن أبي فراس في كتابه عن أحدهم ((عليهم السلام)) قال : ((يأتي

في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعون حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة))^(٢٠٠).

ثاني عشر : آداب المساجد

٢٧ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال : ((قال رسول الله ((صلى الله عليه

وآله)) الاتكاء في المسجد رهبانية العرب، أن المؤمن مجلسه مسجده وصومعته بيته))^(٢٠١).

٢٨ - عن أبي إبراهيم ((عليه السلام)) قال : ((قال رسول الله ((صلى الله عليه

وآله)) جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجاتينكم وشراكم وبيعكم))^(٢٠٢).

٢٩ - عن أبي ذر، عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) في وصيته له قال : ((يا

(١٩٧) الكافي، ج ٣، ص ٤٨٩.

(١٩٨) التهذيب، ج ٣، ص ٢٥٥، رواية ٢٧، باب ١٣.

(١٩٩) الخصال، باب الأربعة، ص ١٩٧.

(٢٠٠) الوسائل، ج ٣، أبواب أحكام المساجد باب ١٤، ح ٤.

(٢٠١) الوسائل، أبواب أحكام المساجد، باب ٢٩، ح ١.

(٢٠٢) الوسائل، أبواب أحكام المساجد باب ٢٧، ح ٢.

أبا نر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة يا أبا نر مَنْ أجاب داعي الله واحسن عمارة مساجد الله كان من الله الجنة، فقلت: كيف يعمر مساجد الله، قال: لا ترفع الأصوات فيها ولا يخاض فيها بالباطل ولا يشتري فيها ولا يبيع واترك اللغو ما دمتَ فيها، فإن لم تفعل فلا تلومنَّ يوم القيامة (إلا نفسك)) (٢٠٣).

٣٠ - عن علي بن الحسين ((عليهما السلام)) قال: ((قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)): مَنْ سمعتموه ينشد الشعر في المسجد، فقولوا: فضَّ الله فاك إنما نُصبتُ المساجد للقرآن)) (٢٠٤).

٣١ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) عن أبيه ((عليه السلام)) قال: ((قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)): مَنْ رد ريقه تعظيماً لحق المسجد، جعل الله ريقه صحةً في بدنه وعوفي من بلوى في جسده)) (٢٠٥).

٣٢ - عن الإمام علي ((عليه السلام)) قال: ((مَنْ أكل شيئاً من المؤذيات ريحها فلا يقرينَ المسجد)) (٢٠٦).

٣٣ - عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال: ((إذا دخلت المسجد وأنت تريد أن تجلس فلا تدخله إلا طاهراً، وإذا دخلته فاستقبل القبلة ثم ادعُ الله وسلهُ حين تدخلهُ واحمد الله وصلِّ على النبي ((صلى الله عليه وآله)) (٢٠٧).

٣٤ - عن فاطمة ((عليها السلام)) قالت: ((كان رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) إذا دخل المسجد صلى على النبي ((صلى الله عليه وآله)) وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج من الباب صلى على النبي ((صلى الله عليه وآله)) وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)) (٢٠٨).

ثالث عشر: استحباب صلاة الجماعة في المسجد

٣٥ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال: ((همَّ رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) بأطراف قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون الجماعة، فاتاه رجل

(٢٠٣) المصدر السابق، ح ٣.

(٢٠٤) المصدر السابق، باب ١٤، ح ١.

(٢٠٥) المصدر السابق، باب ١٩، ح ٦.

(٢٠٦) الخصال الصدوق باب الأربعانة.

(٢٠٧) الوسائل، ج ٣، أبواب أحكام الصلاة، باب ٣٩، ح ٢.

(٢٠٨) المصدر السابق، باب ٤١، ح ٢.

أعمى فقال أنا ضرير البصر وربما اسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي ((صلى الله عليه وآله)): شد من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة))^(٢٠٩).

٣٦ - عن أبي بصير عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال: ((مَنْ سَمِعَ النداء من جيران المسجد فلم يُجب فلا صلاة له))^(٢١٠).

٣٧ - عن الصادق ((عليه السلام)) عن آبائه ((عليهم السلام)) قال: ((قال رسول الله ((صلى الله عليه وآله)): من صلى المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة فكأنما أحيى الليل كله))^(٢١١).

٣٨ - عن الصادق ((عليه السلام)) عن آبائه ((عليهم السلام)) قال: ((اشترط رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) على جيران المسجد شهود الصلاة وقال: لئنتهين أقواماً لا يشهدون الصلاة أو لامرن مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم أمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي ((عليه السلام)) فليحرقن على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة))^(٢١٢).

٣٩ - عن زرارة عن أبي جعفر ((عليه السلام)) قال: ((من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علة فلا صلاة له))^(٢١٣).

٤٠ - عن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال: ((إنما جعلت الجماعة والاجتماع إلى الصلاة لكي يعرف مَنْ يصلي ممن لا يصلي، ومن يحفظ مواقيت الصلاة ممن يضيع، ولو لا ذلك لم يمكن أحداً أن يشهد على أحد بالصلاح لأن من لم يصل في جماعة فلا صلاة له بين المسلمين لأن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) قال: لا صلاة لمن لم يصل في المسجد مع المسلمين إلا من علة))^(٢١٤).

(٢٠٩) الوسائل، ج ٥، أبواب صلاة الجماعة، باب ٢، ح ٩.

(٢١٠) المصدر السابق، ح ١٢.

(٢١١) المصدر السابق، باب ٣، ح ٣.

(٢١٢) المصدر السابق، باب ٢، ح ٦.

(٢١٣) المصدر السابق، ح ٧.

(٢١٤) الوسائل، ج ٥، أبواب صلاة الجماعة باب ٢، ح ٨.